فن التعريف بالكتب

بقلم مصطفى عبد اللطيف السحرتي

بين الحين والحين نطالع في الصحف والمجلات ونسمع في المذياع، نقدات للكتب الجديدة، او تعريفات لها، لا تكشف عن حقيقة هذه الكتب، ولا تدخل في داخلها، ولكنها تكشف عن ذاتية كاتبيها، وتحاملاتهم، ونزواتهم، وقصورهم الفكري. وتتمثل لنا فيها ازمة الضمير الذي لم يلق تربية، قبل ان تتمثل لنا فيها ازمة الثقافة وعدم الدراية بالفن الذي يعالج. فقد تقع احياناً في صحيفة ما على نقدات مجلجلة، لا يقصد منها إلا الاثارة، وأحياناً تقع في صحيفة أخرى على نقدات قاصرة مقصورة على خلاصة مجردة من الكتاب الجديد وشكله وحجمه وثمنه وأحياناً تقع على نقدات مؤذية تنطوي على التحامل، والموجدة والبغضاء، الى غير ذلك من النقدات والتعريفات التي تحمل الدلالة الاكيدة على ان كاتبيها لم يدركوا بعد مسئوليتهم أمام المجتمع وامام القراء، ولم يفقهوا بعد معنى الحرية الادبية التي تقترن اقتراناً وثيقاً بالمسؤولية الاجتماعية.

لم يدرك الكاتبون بعد ان القارىء العصري يريد الحقيقة، الحقيقة الصادقة، لا الحقيقة المشوّهة او المزيفة او الملبسة برداء التحامل والهوى.

ولم يعرفوا بعد ان النقد او التعريف له اصوله وآدابه؛ وأنه فن رفيع كفن الشعر والقصة والرواية والمسرحية. وخميرة من الخمائر النافعة، لنشر الثقافة، وتوسيع مداها في بلادنا العربية، وحضّ القراء على الاقبال عليها.

وما أحوج هذه البلاد الى دعوة قرائها إلى الكتاب، الكتاب الذي ازورّ عنه الكثيرون من المتعلمين، وانغمسوا في قراءات الصحف والمجلات السياسية انغماساً مؤسفاً، وليس في الكثير منها إلا أخبار مزعجة عن الجريمة والمجرمين، وقصص جنسية لا يقصد من ورائها إلا دغدغة الاحلام اليومية، وهدهدة الغرائز الجنسية.

وهذه الظاهرة، ظاهرة انكباب القراء على الصحف، وازورارهم عن الكتب، ظاهرة مشجية، خشي مغبتها الفيلسوف الألماني شبنجلر في كتابه «تدهور الغرب» وعدها من عوامل التدهور الغربي، مع ما تلمس من الفارق البعيد بين كثرة القراء في الغرب وندرة القراء العرب.

فمن الاثم مع وجود هذه الظاهرة، وجود كتاب يحاولون في جهالة وغباء ان يهونوا من شأن الكتاب الجديد، ويغضوا من قيمة الكتاب النافع.

ونحن اذا حملنا الكتاب مسؤلية هذا الاثم فأكبر المسئولية تقع على من يسمحون بنشر نقدات هؤلاء الكتاب او تعريفاتهم، بدعوى الحرية، ونحاكم بعض المشرفين على أجهزة النشر من رؤساء الصحف او الاذاعة على هذا الانحراف، الذي لا نجد مثيلًا له في أي بلد متحضر.

ويطول بنا المجال إذا تحدثنا عن مآسي نقد الكتب والتعريف بها في التاريخ المعاصر، وعن شهوة الافتراس لدى بعض العاملين في الصحف أو الاذاعة وتلذذهم المريض بانتقاص ما تخرجه المطابع، بغية الاعتلاء او بغية النكاية بالمؤلفين، وسماحهم لذوي الأقلام أو الألسنة المريضة، بالتهجم على كتاب شرفاء يفصل بينهم وبين ناقديهم برزخ واسع من الثقافة والألمعية والذكاء.

ويحضرني في هذا المقام مثال واحد أذكره للعبرة، ففي عام ألف وتسعمائة وتسع وأربعين نكبت مجلة الرسالة المحتجبة بكاتبين، كانا يمثلان دور دون كيشوت ويحاربان طواحين الهواء في رداء البطولة المزيف.

تناول احدهم كتاب «البلاغة العصرية» لسلامة موسى قائلًا «إنه يتهجم على اللغة العربية، ويعيب ادبها، ويدعو إلى العامية، وان آراءه في هذا الكتاب ككل الآراء التي في كتبه، وأن رجلًا هكذا اتجاهه، لا يجوز ان يحتل مقعداً مع الخالدين في المجمع اللغوي، بل إنه يرشح لرياسة مجمع يطلق عليه «المجمع العامي» ويسمى باسمه».

وسمع صاحب المجلة بمثل هذا الهراء، تلذذاً بالحملة على رجل خدم الفكر اكثر من أربعين عاماً وأخرج اكثر من ثلاثين كتاباً.

وكثرت الحملات على سلامة موسى وعلى غيره من كرام الكاتبين، فلم يسعني إلا كتابة مقالين بالمقتطف منبهاً الى

هذا الانحراف ، وداعياً في إخلاص الى النقد البناء لا محاولة تشويه أعمال الادباء وكراماتهم ، وتناولت كتاب « البلاغة العصرية » تناولا موضوعيا كاشفا عما فيه من آراء قيمة ، مفنّدا عبارات الكاتب الشاب بل هادماً ادعاءاته في أن مؤلفه يدعو الى العامية ويحاهد العربية بنصوص كتاب البلاغة العصرية ، من مثل قوله : « يجب ان نكبر من شأن لغتنا وان نوليها اعظم اهتمامنا ، لانها وسيلة التفكير ، ولا يمكن التفكير الحسن بلا لغة حسنة » وأثبت بشواهد مماثلة ، تكشف في وضوح عن تحامل الكاتب الشاب ، ومحاولته تشويه الكتاب محاولة متعمدة .

ولن احدثكم عما لحقني من هذا الكاتب وزميله بعد كلماتي الموجهة المنصفة ، فقد أخذا يقذفان شبحي بالطوب ، من فوق الحصن الذي كانا يختبئان فيه إلى ان دك الحصن ، وخرجا منه مدحورين مهزومين ، ووقف المنقودون على هضابهم العالية في انتصار .

لقد سقت هذا المثال ، لأنبه الى ان النقد الهدّام او التعريف المتحامل بالكتب ، ليس من النقد في شيء ، وان الحرية المطلقة هي الفوضى بعينها ، فالنقد المباح لدى المتحضرين هو النقد العادل البناء ، لا العابث الهدام ، فاذا انطوى على خبث ، او تحامل وسوء طوية ، او تهجم ، فهو وصمة في جبين كاتبه ، وضرب من الهمجية والفوضى .

واذا كانت كتاباتنا بعد النهضة الحاضرة ، قد خلا اغلبها من السباب المقذع ، فلم تخل بعض النفوس من تحاملاتها واهوائها ، كما لمسنا ذلك في بعض ما نقرأ في الصحف والمجلات ، ولذا رأينا من الواجب علينا أن نتحدث الى القراء حديثاً موضوعياً فنيا في هذه الناحية ، مقتصرين في البحث على التعريف بالكتب او مراجعتها ، او التعقيب وهو ما يسمى Reviewing ، راجين في ثقة ان يدرك الناقدون والكتاب ان الثقافة الخلقية والروحية ، لا تقل عن الثقافة الادبية والفكرية في ثمراتها الاجتماعية .

والتعريف بالكتب عملٌ حديثٌ في الصحافة العصرية يطل منه القارىء على حصاد الفكر وثماره المتنوعة الألوان . فهو بمثابة الضوء الهادي لطلاب المعرفة الدافعة للتأليف الادبي والفني والعلمي .

وهدف التعريف هو تزويد القارىء بمعلومات مرشحة عن الكتب الجديدة ، وإعطاؤه صورة واضحة أمينة عن قيمتها ، لإثارته إلى مطالعة الصالح والمحبب له وترك السيء او غير الملائم لميوله .

فعمل المعروف ، عمل له خطره من الناحيتين الخلقية والفنية ، عمل يقتضي الكياسة والامانة والنزاهة والانصاف ، كما يتطلب الذوق والمعرفة والذكاء ، وأصول الصناعة الفنية .

والكاتب في ولوجه هذا النوع من الكتابة ، يحمل امام القارىء امانة غربلة ثمرات القرائح ، كما يحمل امام الفن تبعة معايشة المؤلف والتحليق في جوه والاستغراق في الكشف عن تجاربه ، ووجهات نظره .

وهذه العملية الأخيرة ، تماثل عملية المؤلف في ابتداعه ، لان المعرف يواجه في كل كتاب ، تجربة جديدة ، تدعوه الى ملاقاة الكاتب في أنس ، والتآلف مع مؤلفه ، والاقتران بأفكاره وعواطفه ، والتعبير عن تأثراته وانطباعاته تعبيرا مؤدبا صادقا شريفا ذكيا مستقلا .

وتتفاوت هذه العمليات بتفاوت الفن الذي يعالجه المعرّف ، فهي في الصنيع الشعري غيرها في الصنيع الروائي او الدرامي ، إذ يتطلب كل صنيع فني من المعقب تهيئوا ثقافيا وسيكولوجيا وفنيا .

فالمعرّف للشعر مثلا يجيد فن التعرف على تجارب الشاعر ، ومدى طاقته وإخلاصه وقدرته على التعبير عنها ، والمعرف بالرواية يقبل على قراءتها في شوق ليتعرف أفكار الكاتب وأهدافه ، ويسائل نفسه عما إذا كان قد وجد فيها صورة صادقة من صور الحياة وملامح الناس . والمعرف بالدرامة ، يكشف عن تأثراته وانفعالاته وقدرة المؤلف على بيان مجرى حيوات الناس ، واعمال البيئة ، وتتبع الاحداث ، وإشعاعات الشخوص ، وصدق الحوار وجو الرواية وما إلى ذلك من مستلزمات الصناعة الفنية .

وفن التعريف له أصوله وقواعده ، وطرقه الخاصة ، والملحوظ في هذا الفن ، ان يبدأ المعرف بنقطة معينة تشد شوق القارىء ، وتثير اهتمامه ، ويتبعها بالمعلومات كما يقول روبرتسون : في كتابه « مقدمة عن الصحافة الحديثة » حول بيان هدف المؤلف ومدى نجاحه فيما سعى اليه ووصف الكتاب

ومحتوياته واسلوبه ، وعقد مقابلة بينه وبين ما وضعه المؤلف من كتب ، او ما اخرج الغير من كتب مماثلة ، ثم تقدير الكتاب وتقييمه .

ويجمل بالمعرف اختيار فقرة او اكثر ، اختياراً سديداً لبيان فكرة من الفكرات الجوهرية للكاتب، وإلقاء ضوء على أسلوبه ونغمته ، ولا يحق له اذا وجد كتاباً قيماً ، ان يقطف منه فقرة ضعيفة او جملة واهنة زحفت فيه، لمخالفة ذلك لاصول الصحافة النظيفة .

ومن المستحسن عند الانتهاء ، ان لا يبين المعرف النهاية ، بل يدع للقارىء التفطن الى قيمة الكتاب بنفسه، والاعتماد على ما قدم المعرّف من معلومات في تعريفه . وفي إخفاء النهاية إثارة للقارىء الى المطالعة، ودعوة لاقتناء الكتاب المعرّف به .

وأهم ما يجب على المعرف ان يتحلى في تناوله للكتاب ، باللطف ، والادب بله الكرم ، وبيان وجهة نظر المؤلف ، وشرحها وتفسيرها فهو ليس نقداً ، وإن كان رافداً من روافده . لان النقد فحص دقيق عميق، يباح فيه مخالفة المؤلف في آرائه ووجهات نظره كما يباح له مهاجمة المؤلف بل تجريحه فيما كتب بشرط ان لا يمس شخصه ، على ان يكون مخلصاً شريفاً في فحصه .

وليس التعريف إلا نوعاً من المصادقة للكاتب ، وتقديمه للقارىء ، وتقضي الكياسة عند التقديم ان يتحلى المقدم باللطف والتواضع ، وفي هذا يقول « ج. م. يونج » في كتابه « المقالات الاخيرة » « إن لقاء الكتاب الجديد كلقاء الصاحب الجديد ، يجب ان يكون متسماً بالبشر والترحاب والحدب ، لمعرفة خلقه ، وسبر غوره ، واكتناه سره فاذا كان اول ما يلحظ في الصاحب الجديد وجهه وصوته ، والتعرف من حديثه على هدفه ورغباته ، وتكوين فكرة عن خلقه ، ثم إصدار حكم قريب من الصواب عليه ، بعد التجاوب معه .

فكذا الحال في التعريف ، إذ يبدأ المعرف رقيقاً لطيفاً ، كما يبدأ اللقاء ، ثم يتناول تعبير المؤلف ، ليتعرف مواءمة عباراته لآرائه ، او تفصحه ، وميل عباراته الى الزركشة وتغطيتها على آرائه . وبمعنى آخر يكشف عما اذا كان حديث المؤلف حديثاً طيباً بعيداً عن الادعاء والغرور ، حديثاً عذباً مقبولاً لدى القارىء المثقف والعادي على السواء .

فالمعرّف لا يقول ما يشاء ، بل ينبغي ان يقال ، وحريته في التعريف مقيدة كما يقول هوكنج : في كتابه « حرية الصحافة » « بالمواطنية الطيبة ، واللياقة الواجبة » والمعرّف الذي يصدر عن خشونة أو غضب ثائر ، والذي تنطوي كتابته على إثارة الأحقاد والشكوك والمبالغة في الانفعالات ، لا يحق له ان يمسك القلم حتى يتأدب بأدب النفس ، وينضج ضميره الأدبي ، لأن هذا الأدب كما يقول روتلدج : في كتابه « سياسات الرجل غير السياسي » ضرب من الثقافة ، وبعض الكتاب تنقصهم هذه الثقافة ، وإن اخرجوا ادباً ذكياً ، ولا مفر من دماثة الكاتب ، ومن معرفته المقاييس التي يقاس بها الصنيع الادبي او الفني الذي يعقب عليه ، وإلا كان تعريفه واهنا لا يقوم على اساس صلد ، وفي ذلك يقول ادجار ديل : في كتابه « كيف تقرأ الصحيفة » « إن الناقد الحسن لا يتحدث عما يشعر به فقط ، بل إنه يثبت رأيه فيما يقرأ . فلا يقول : « أحببت هذا الكتاب او هذا القلم ، او لم أحبه ، بل عليه ان يقول لم أحبه او كرهه ، ولماذا ارتأى انه حسن او رديء ، إنه يناقش قيمة الكتاب ، ولا بد ان تكون لديه تجربة في الميدان الذي يغامر فيه ، ويحكم على هذا الاساس ، وكثير من النقاد او المعرفين لم يكوّنوا مقاييسهم الخاصة للحكم على الروايات ، والافلام ، والكتب ، والقطع الموسيقية ، وهذا لا يثمر نقداً او تعريفاً شهياً ، يشوق الجمهور الى المطالعة » .

ولا ريب في ضرورة التعريف الموضوعي ، المجرد من نزوات المعرّف وهو اجسه وبدواته والذي ينطوي على النظر فقط في صفة الكتاب ووجهة نظر كاتبه . ومن الخطأ كما يقول والترألين : في كتابه « قراءة الرواية » « ان يحمل المعرّف حملة غبية على فن جديد لا يتفق مع مذهبه ، وان يبدي سخطه على آراء مخالفة لآرائه ، بل عليه ان يلاقي الآراء المخالفة له في سماحة وحياد ونزاهة ، كما يجب ان يلاقي الناس معتقداته وآراءه . »

ويستبين مما تقدم ، ان التعريف بالكتب ليس عملاً سهلاً ، يقوم به كل من حمل القلم ، بل هو عمل فني هام ، ينطوي على الكياسة ، ويقوم على مؤهلات خاصة ، ولا يمكن ان ينهض به الا كتّاب متمرسون يمكنهم ان يتذوقوا الكتاب ويشموه ، ويصلوا الى جوهره ، ويكوّنوا عنه رأياً سليماً .

ولا يعد من التعقيب ، ما يثور من زبد التهجم على شبات

الاقلام . ولا الادعاء والتعالم ، ولا التنقيب المحض عن عيوب الكاتب ومساوئه، كما لا يعد منه مجرد التعريف به، والاعلان عن صدوره وشكله، والدوران حول موضوعه دوراناً عابراً، والاستشهاد بفقرة من مقدمته ، لان هذا النوع من الكتابة هو ما يسمى في الصحافة الحاضرة بالاعلان Notice والملحوظ ان فن التعريف يكاد يساير فن النقد في مذاهبه، فهناك تعريف كلاسيكي ، يسير فيه الكاتب على قواعد ثابتة لا يحيد عنها ، فيتحدث عن كل باب من الكتاب على ترتيب ابوابه ويكشف عن محاسنه ومساوئه ، ويهتم بأخطائه اللغوية والنحوية والبيانية ، وغاية هذا المذهب تعليمي واتجاهه مدرسي .

وهناك تعريف رومانتي ، تنعكس فيه خواطر الكاتب وتأثراته الذاتية ، وتنبثق عنه في بعض الاحيان نفثات اصيلة ، وإشراقات مضيئة ، وقد تنعكس منه احياناً جمحات مخيفة ، وشطحات شرود .

وثمة تعريف اجتماعي او واقعي ، يدور جل اهتمامه حول موضوع الكتاب وهدفه ، واثر العوامل الاجتماعية في كونيته ، وما يرقد وراءه من خير للمجتمع .

هذه هي المذاهب الثلاثة التي تلحظ في فن التعريف ، وقد لا يتقيد الكاتب بها ، وينسج كتابته على مذهبين ، او يجمع بطرف من المذاهب الثلاثة ، او ينحو منحى مستقلاً اصيلاً .

وسواء أسار تعريف الكاتب على طريقة من هذه الطرق ، ام لم يسر ، فمن الواجب على الكاتب مراعاة قواعد الصناعة الفنية للتعريف واحترام آداب الكتابة ، وقد سجلناها في صدر هذا المقال ، وعلى رأسها الابتداء ببؤرة الشوق او وتد الشوق ، او كما يقول احد عمداء الصحافة الامريكية الاستاذ جرانت هايد : « الابتداء بالذروة Climax ووضع خلاصة منظمة منطقية لمحتويات الكتاب لبيان هدفه ورسالته . »

ونظرة فاحصة إلى تعاريف كتابنا ، تكشف عن مدى تخلي اغلبها عن الكياسة ، او وهن مستواها ، او هوايتها ، وتحاملها الاثيم على الكتاب والكاتب .

فهناك من يعرف تعريفاً سطحياً مضطرباً يسير سير النطاط في حركاته الطائشة ولا يخرج منها القارىء بثمرة ، وهذا ما تنفثه اقلام الشاذين في الادب ، وهناك من يعرف تعريفاً رناناً طناناً ، كطنين الزنبور ، فيثير في الجو ضجة ، وفي الاعصاب توتراً ورجة ، وهذا ما يجرى عليه المنمقون المتفاصحون ، وهناك من يضطر لجمعها في التأليف من رحيق، ويعز عليه ان يتركه دون لدغة . وهناك من يرجو بعمله التقرب الى احد كبار المؤلفين، فيملأ كتابته مدحاً وتقريظاً، مؤمناً بسياسة « هز الشجر » وهو في هذا يقف امام الكتاب الجديد ، كدودة الارض الوضيعة ، وهناك من يتخذ من التعريف اداة للتشهير ، وتلطيخ سمعة الكتاب وكاتبه ، وهذا هو التعريف العقربي السام الذي يكشف في الغالب عن نفس كاتبه وانحرافاته النفسية . ويؤدي دائماً الى تحقيره والزراية عليه .

فهذه التعريفات السطحية منها ، والمتفاصحة ، والمادحة او القادحة ، شواهد على وهن مستوى الذوق والمعرفة لدى بعض المعرفين ، او على الجموح والانحراف وروح النقمة والكراهية لدى البعض الآخر ، وهي تعريفات لا تثمر إلا ثمرة عكسية، اذ تتحول اداة للحكم على المعرف ، وعلى عقله وخلقه وادبه ، ولن تؤثر في المؤلف تأثيراً يذكر .

ولا نود ان نذكر في هذا المقام اسماء المعرفين المنحرفين ، ولا ان نعدد امثلة لمهازلهم التي ترجع اصولها الى ازمة الخلق وضيق الافق من ناحية ، والى تهاون المحرر المسئول في الصحف والمجلات في المسئولية الادبية الخطيرة الملقاة على عاتقه ، وعدم عرفانه بمدى نطاق الحرية القلمية .

ومثل هذا التهاون برئت منه مجلات وصحف البلاد الراقية المتحضرة ، لان المحرر الادبي في الغالب يوزع الكتب الجديدة على المعرفين بحسب مقدراتهم وفهمهم لموضوعات هذه الكتب ، ولا يترك الحكم على الكتاب لهوى المعرف ، بل تعقد في المجلة او الصحيفة لجنة لمناقشة ما يكتب الكاتب ، وفي هذه الطريقة المثلى انصاف للمعرف وللمؤلف على السواء ، واحترام للمجلة وتوطيد الثقة بها .

ويقتضينا الانصاف ان نسجل ان البيئة الفكرية في مصر ، اشرقت بطائفة من التعريفات الواعية الذكية لبعض الكتاب النابهين ، ونذكر منهم ، الدكتور احمد زكي ابو شادي ، والاساتذة علي ادهم والدكتور عبد القادر القط والدكتور شوقي ضيف ، وحسن كامل الصيرفي ، والدكتور الاهواني ، ومحمود امين العالم ، والدكتورة عائشة عبدالرحمن ، وعادل الغضبان، وعبدالغني حسن ، ومحمد عبدالمنعم خفاجي، ووديع

(البقية في صفحة ٦٩)

الى شاعر العرب جورج صيدح

يا ساكب الشعر من سحر ومن راح ... تعيش كأسك ما جادت بنضاح

عليكَ رفّت بناتُ الشعر والهةً ... تهفو لخلدك في مفتان لمّاح

أُختَ الاساطير هذا شاعر غردٌ ... منمنمُ الفن لم يوصم بمدّاحِ

لما سمعت نشيداً من معارفه ... حسبت أني في مغمور أفراح

ونشوة الفن إن مرت بخاطرة ... كانت نسيماً على أزهار تفاح

أبا البيان إذا خُوّفت مصرعهُ ... فمن قوافيكَ تحميه بسماح

أولئك الزُّغب ذاقوا حصرماً عصروا ... منه مدامتهم في سوء أقداح

لو احتسوها لكفّوا عن بوادرها ... لكنهم قد أداروها لمُزّاح

ترى السكارى بها هزّوا رؤوسهمُ ... من نشوة الجسم لا من نشْو أرواح

ما فات شوقي ولا مطران بارحنا ... فقد وجدنا الغنى في شعر (صيْداح)

هو العروبة في موروث طابعها ... من بعد ما ضل فيها قول طمّاح

نمتك جِلّقُ من صوب الفؤاد هوىً ... وما عدتك عواديها بجرّاح

حنت إليك ومن خلف البحار نوىً ... حتى رأتك توافيها بفوّاح

حلفتُ حين أبحْتَ الشعرَ خاطرتي ... أنت النسيم هفا نحوي بإفصاح

موتى ونُبعثُ في جنبِ المسيح فقل ... حتى نرى ليلنا يُتلى بإصباح

خلتْ ديار العلى من شعر صاحبها ... وأقفر الروضُ لا فرسان في السّاح

وللغويِّ غُلاةٌ شان جمعَهمُ ... أنّ البيان لديهم غيرُ وضّاح

مناكرٌ لحلاواتٍ ومنقصة ... لكل تمّام غاياتٍ وإصلاح

تبارك الفنُّ ما لاذت بهيكله ... على زحام التناجي ذاتُ أشباح

وميسمُ الخُلد لم يُطبع على كلِمٍ ... إلا التي أُنزلت من وحي منّاح

دمشق — زكي المحاسني

النارنجة الذابلة

بقلم الدكتور محمد مندور

النارنجة الذابلة قصيدة رائعة لشاعر من خيرة شعراء جماعة أبو للو هو محمد عبد المعطى الهمشري الذي مات قبل ان يتجاوز الثلاثين من عمره ، فقد ولد بمدينة السنبلاوين سنة ١٩٠٨ ومات بالقاهرة في ديسمبر سنة ١٩٣٨ على اثر عملية جراحية مخلفاً طائفة من القصائد الرومانسية المعدن بل الخالصة في رومانسيتها .

وحياة الهمشري القصيرة الاجل يمكن تلخيصها في كلمات فهو بعد اتمامه للدراسة الثانوية قد التحق بكلية الآداب ، ولكنه لم يتم دراسته بها ، واضطر الى العمل كاتباً في وزارة الزراعة الى أن وافاه اجله .

والقصائد التي نظمها محمد عبدالمعطي الهمشري تشعر كلها بأنه قد كان شاعراً غارقاً في الرومانسية بطبعه وظروف حياته ، ولا اظن ان رومانسيته صادرة عن مذهب ووعي نظري وقصد او افتعال ، وانما هي رومانسية نبتت من وجدان الشاعر كما نبت ذلك المذهب في بدء ظهوره عند كبار الرومانسيين الغربيين . فالرومانسية كالكثير من مذاهب الادب الاخرى لم يفتعلها دعاتها الأوائل بل تهيأت لها النفوس اولاً بحكم ملابسات الحياة العامة والخاصة او على الاصح تضاريس الحياة التي ترسم للآداب والفنون مسالكها وتوجه تيارها . وربما كان هذا الحكم اصدق على الرومانسية منه على غيرها من مذاهب الادب ، وذلك لان الرومانسية هي قبل كل شيء حالة « نفسية » قبل ان تصبح مذهباً يفتعله المقلدون فيسيئون اليه احياناً ويخرجون به من الصدمة الى الهوس والطرطشة العاطفية .

فمحمد عبد المعطى الهمشري قد نظم قصائده في سن الشباب الذي يطغى فيه الخيال ويشتد جناحه فيأبى الكثير من الشبان ان يسيروا على الارض ويطمحون الى التحليق في السماء ، واذا لم تلن لهم الحياة وتسلس قيادها لرغباتهم الحارة الملهوفة هربوا من تلك الحياة وكان هروبهم احياناً الى ماضيهم ومراتع طفولتهم كما فعل الهمشري في قصيدته النارنجة الذابلة.

وها هي القصيدة :

كانت لنا عند السياج شجيرة
ألف الغناء بظلها الزرزورُ
طفق الربيع يزورها متخفياً
ويفيض منها في الحديقة نور
حتى اذا حل الصباح تنفست
فيها الزهور وزقزق العصفور
وسرى الى ارض الحديقة كلها
نبأ الربيع وركبه المسحور

كانت لنا ... ياليتها دامت لنا
او دام يهتف فوقها الزرزور

قد كنت اجلس صوبها في شرفتي
او كنت اجلس تحتها في ظُلَّتي
او كنت ارقب في الضحى زرزورها
متهللاً يغشى نوافذ غرفتي
طورا ينقر في الزجاج وتارة
يسمو يُزَرْزِرُ في وكار سقيفتي
فإذا رآني طار في أغرودة
بيضاء واستوفى غصون شجيرتي
كانت لنا ... يا ليتها دامت لنا
أو دام يهتف فوقها الزرزور

فمتى يؤوب هتافه ومتى أرى
نوارك الثلجي يا نارنجتي
ومتى أطير إليك ... ترقص مهجتي
فرحاً وآخذ مجلسي من شرفتي

هيهات لن انسى بظلك مجلسي
وأنا أراعي الأفْق نصف مغمّضِ
خنقت جفوني ذكريات حلوة
من عطرك القمري والنغم الوضى
فانساب منك على كليل مشاعري
ينبوع لحنٍ في الخيال مفضض
وهفت عليك الروحُ من وادي الأسى
لتعب من خمر الأريج الأبيض

كانت لنا ! يا ليتها دامت لنا
أو دام يهتف فوقها الزرزورُ
هيهات أن أنسى ضحى سبتمبر
والنحل يغشى نورك المتلالي
ومساء مارس كيف يهبط تلة
شفقية ممدودة الاظلال
نزل الحديقة تحت أرهام الندى
وضفى عليكِ معطّر الأذيال
فهناك كم ذهبية شغفت بها
روحي فتاهت في مروج خيال

وهنا تحركت الشجيرة في أسىً
وبكى الربيعَ خيالُها المهجورُ
وتذكرتْ عهد الصبا فتأوهت
وكأنها بيد الأسى طنبورُ
وتذكرت أيامَ يرشف نورُها
ريق الضحى ويزرزر الزرزور
وعرائس النارنج تحلم في الندى
فيرف فيها طيفه المسحورُ
كانت لنا ... يا ليتها دامت لنا !
او دام ينثر لحنه الزرزور

وتذكرت عند السياج أزاهراً
صفراء رفّت في ظلال العوسج
زهر القطيفة كيف خان عهودها
نَسي الهوى من عطرها المتبلج
وتذكرت في رعشة لما سبا
زرزورها منها ولم يتحرج
وهنا تمشت في الشجيرة خلجة
وبكت حنيناً للشذى المتأرج
كانت لنا ... يا ليتها دامت لنا
او دام يهتف فوقها الزرزورُ

وتذكرت شفقاً توهج حمرةً
خلل الغيوم على ربا الآصال
وبدت غصون الجازورين كأنها
فِلَعٌ ترفرِف في بحار خيالِ

وهنا تحركت الشجيرةُ في أسىً
وبكى الربيعَ خيالُها المهجورُ
وتذكرت عهد الصبا فتنهدت
وكأنها بيد الاسى طنبور

وتذكرت شجر النخيل وهدهدا
قد كان يقصدها صباح مساءَ
وتذكرت في اليوسفيِّ يمامة
كانت تنوح الليلة القمراءَ

وهنا تحركت الشجيرة في اسىً
وبكى الربيعَ خيالُها المهجورُ
وتذكرت عهد الصبا فترنحت
وكأنها بيد الاسى طنبورُ

وضفت على كل الغصون سحابة
وزكا الغصينُ وفتح النوارُ
وتهلل الزرزور في اوراقها
وزها السياج وفاحت الاعطار

حلمتْ بأرض في الخيال سحيقة
في ذلك الأفق القصي النائي
وهناك تحت سما نجون سمائها
تاقت الى احلامها الزرقاء
خلدت الى صمت هناك مخيم
تسجو عليه خوافق الافياءِ
هي جنة الاشجار والاظلال والاعطار والانغام والانداء

يتزاهر البشنين فوق شطوطها
ويغازل الدُفْلِيُّ زهرَ اللوتس
وعرائس النارنج فاح عبيرها
بالنحل تحلم في السكون المشمس
وهناك زرزورٌ يغرد دائماً
ويقص أحلام الزهور النعّسِ
يروي لها اسطورة سحرية
مما يفوح به خيال النرجس

كانت لنا ! ... يا ليتها دامت لنا !

او دام يهتف فوقها الزرزور

نارنجتي ، تالله مذ فارقتني

وانا حليف كآبة خرساء

اصبحت بعدك في انقباض موحش

وكأنني منه مساء شتاء

تستشرف الاعطار في آفاقها

روحي اليك وراء كل فضاء

وترف في دهليز كل اشعة

قمراء او ترنيمة بيضاء

قد كنت ارجو ان تكون نهايتي

في ظل هذا السور حيث اراك

ويكون آخر ما يخدر مسمعي

زرزورك الهتاف فوق ذراك

ويطوف في غيبوبتي فيفيقني

فجر قصير البعث من رياك

والآن إذ جل القضاء فانما

سيقوم في الذكرى خيال شذاك

كانت لنا عند السياج شجيرة

الف الغناء بظلها الزرزور

طفق الربيع يزورها متخفياً

فيُفيض منها في الحديقة نور

حتى اذا حل الصباح تنفست

فيها الزهور وزقزق العصفور

وسرى الى ارض الحديقة كلها

نبأ الربيع وركبه المسحور

كانت لنا ... يا ليتها دامت لنا

او دام يهتف فوقها الزرزور

هذه هي قصيدة « النارنجة الذابلة » التي اعتبرها عملًا ادبياً نابغاً في شعرنا العربي المعاصر ، وهي تستحق دراسة تحليلية مفصلة لانها تضع ايدينا على بعض الخصائص الاساسية التي يتميز بها مذهبان من مذاهب الادب الكبرى واعني بهما المذهب الرومانسي والمذهب الرمزي .

ففي هذه القصيدة نلمس عدداً من خصائص الرومانسية . واول هذه الخصائص هو الحنين الى شيء غير حاضر الشاعر وواقع حياته الراهنة ، فنحن نطالع هنا هذا الحنين منذ مطلع القصيدة وهو حنين الشاعر الى شجيرته في الريف وأساه على فراقها :

كانت لنا عند السياج شجيرة ألف الغناء بظلها الزرزور

بل ويتخذ الشاعر من هذا الحنين قراراً يردده ويجعل منه قافلة لمقطوعات قصيدته :

كانت لنا ! ... يا ليتها دامت لنا او دام يهتف فوقها الزرزور

والشاعر لا يصف في قصيدته الطبيعة وصفاً حسياً ولا يصورها تصويراً خيالياً ، بل يتحدث عنها حديثاً رومانسياً تختلط به نفسه حتى ليصدق عليه اكبر الصدق قول بودلير « ان الاشياء تفكر خلالي كما افكر خلالها » . ولا ادل على ذلك من ان نعود الى بعض قصائد الهمشري الاخرى فنجد حديثه عن نفس مظاهر الطبيعة في قريته يتفاوت إشراقاً وكآبة وبهجة وحزناً تبعاً لحالات نفسه ، فلقد يفر من حاضره الى الطبيعة ومراتع الصبا ، فاذا به يحمل معه همومه واتراح حياته واذا به لا يجد فيها غير خيبة الأمل ، وقد غشاها حزنه بلونه القاتم ولم يعد يرى في الطبيعة غير نواحيها الداكنة على نحو ما نحس في قصيدة اخرى رائعة سماها العودة اي عودة الشاعر الى قريته حيث يقول :

رجعت اليك اليوم من بعد غربتي

وفي النفس آلام تفيض ثوائر

رجعت وعقلي تائه الفكر شارد

وأبْتُ وقلبي واهن الخفق خائر

ولكنه لا يرى من مراتع صباه غير الوحشة والكآبة :

وقد خيمت فوق العرائش وحشة

وصمت على اوراقها الصُفر ناشر

شعور انقباض في الظلام ووحشة

وصمت وحزن . شدّ ما انا ناظر

بل لا يرى في الازاهر إلا اجراساً تدق نعيه ولا في طنين

النحل إلا دويّ تلك النواقيس :

لقد خف نَسْمُ الصبح يهمس ناعياً
الى السهل ان قد فارق الكونَ شاعرُ

إذا نعَس النحـل الزهور فجلجلت
ونابت عن الاجراس هذى الازاهر

وذلك بينما نراه في قصيدة اخرى هي اغنيـة النخيل يترنم بطيب الحياة في ظل النخيل :

قد طاب لي مقيلي	في سهلك الجميلِ
في ظلك الظليل	يا شجر النخيـل
يا جنـة الظلالِ	يا مسبح الخيـالِ
ويا جنى الدوالي	يا شجر النخيـل

واكبر الظن انه لو كان حزين النفس لرأى في طلع النخل رؤوس الشياطين ، ولا غرابـة في ذلك فالشاعر الرومانسي يتخذ الطبيعة وسيلة للتعبير عن نفسه ويخلع عليها لون تلك النفس ، ومن الواضح ان النارنجـة ليست هي التي تتـذكر « عنـد السياج أزاهراً » او « شفقاً توهـج حمرة » او « شجر النخيل وهدهـداً » وليست هي التي تحلم « بأرض في الخيـال سحيقة » بل الشاعر هو الذي يتذكر ويحلم خلال النارنجة التي خلع عليها هموم روحه واشواقها بعد ان كان في مطلع القصيدة هو الذي يحن ويذكر ويتوق الى ان يؤوب ليرى نوار النارنجة الثلجي ، ولا غرابة في شيء من كل هـذا عند شاعر تتحـد في نفسه الحقيقة بالخيال ، وتختلط مشاعره بالاشياء فتنطق بلسانه وينطق بلسانها في وحدة شعرية متماسكة بالغة القوة والنفاذ ، وان تفاوتت الوان تلك الرؤية الشعرية تبعـاً للحالات النفسية التي تتعاقب على شاعر بالغ الرهافـة والحساسية كعبد المعطي الهمشري .

ومن حق هذا الشاعر الموهوب ان نقر له بخاصية شعرية اخرى بالغة الأهمية ، وهي انـه لا يضرب بخياله في تهويمات بعيدة خاوية بل يحلّق بهذا الخيال على واقع حياتـه ومشاهد بصره . واذا كان الاستاذ محمود العقـاد قـد نعى على بعض شعرائنا تغنهم بطائر صداح لا وجود له في بيئتنا وهو البلبل ، وآثر بالحديث طائراً مصرياً غرداً هو الكروان الذي استمع لغنائه الاستاذ العقـاد من مشارف مصر الجديـدة فخصص له ديواناً بأكمله هو « هدية الكروان » فها هو شاعر ريفنا الجميل محمد عبد المعطي الهمشري لا يتغنى بالبلبل بل ولا بالكروان بل يؤثر الحديث عن طـائر ريفي أليف لا يغني بل يزقزق ، وهو ذلك العصفور الذي يسميه بعض سكان ريفنا بالزرزور .

واخـيراً تبقى رمزية التعبير التي نجدهـا في تلك العبارات الشعرية الجميـلة التي رصع بها الهمشري قصيدته مثل « العطر القمري » و « النغم الوضيّ » و « اللحن المفضض » والأريج الأبيض والعطر المتبـلج والسكون المشمس . وهـذه كلها تعبيرات شعرية جديدة أثارت ولا تزال تثير بعض علماء لغتنا المحافظين مع انه لا محل لهذه الإثارة وذلك لانها لا تخرج عن كونها وسيلة لغوية عامة معروفة في اللغة العربية وكافة لغات العالم وهي وسيلة المجاز الذي تثري بفضله اللغات وتجدد تعابيرها . وذلك مع فارق واحد هو ان الشاعر الرمزي لا ينقل الصنعة او التعبير عن مجال من مجالات الحواس الى مجال آخر بجامع التشابه في كلّ بل بجامع وحدة الاثر النفسي ، وكأن الصفة قـد اصبحت عندئذ مجرد رمز لأثر نفسي معين فاذا لم يكن السكون مثلاً كئيباً مقبضاً بل بهيجاً مفرحاً سماه الشاعر سكونا مشمساً بجامع وحدة الأثر النفسي بين الشمس المشرقة والسكون البهيج . ومقياس النجاح او الفشل في مثل هـذا التجديد هو الصدق في الاحساس بوحدة الأثر وعدم الافتعال حتى لا يصبح الرمز لغزاً او تهريجاً .

وفي رأينا ان الشاعر يستطيع بمثل هذه التعابير الرمزية ان يوحي الى الغير بأكثر مما تستطيع ان تنقل العبارات التقريرية المسطحة او المجازات القديمة البالية .

القاهرة — محمد مندور

عنـد المســاء

للدكتور علي شلق

عند المساءْ
افيق عند المساءْ
نفسي معي تصحبني نفسي
ننشُدُ بعد المدنيه
لون بياض السكينه

وفي المساءْ
كلَّ مساءْ
يُلجُّ بي حسي
كي أجتلي
فاختلي
في الصمت مع نفسي
غمرتُ في الشاطىء
ذاك السكون الرهيب
في الشاطىء الدافىء
كانت معي نفسي
تلهمني حدسي
عفو ضباب الشحوب
تمدني بالغيوب

ورحت في الرمل
أبحث عن شكل
فلم أجد في المدى
بعض شعاع الهدى
وتهت عن أصلي
فخانني ظلي

عند المساء
تعود لي نفسي
فَنَبْحثُ
كم نبْحثُ
أعيننا تلهثُ
في المعتم الازرقِ
عسى وراء العباب
عبر دهور الغياب
بقادمٍ نلتقي

أصداءُ لا تفصحُ
هل تفصح الاصداء؟
أجواء لا تلمح
في رحبها أضواء
أين اختفتْ؟
وانمحتْ
كواكب السماء
هل يستطيع الضباب
والليل في الحجاب
أن يوصد الابواب
ويستطيل العدمْ
في الظلمْ
لَدُنْ يموتُ الضياء

قصة لسومرست موم — ترجمة حسن السعران

النزعة الاجتماعية

لست احب الارتباط بدعوة يحين موعدها بعد فترة طويلة. فكيف للمرء ان يعرف مقدماً أنه في يوم معين بالذات قد يمتد نحو شهر من الزمان ، سيكون في وسعه تلبية دعوة عشاء مع أحد الاشخاص ؟ الا يحتمل ان تحدث له خلال تلك المدة بعض أمور طارئة تضطره الى التنحي عن الحضور . ولكن كيف اعتذر في حالة كهذه ، وقد جاءتني الدعوة قبل وقت طويل جداً . ولا سبيل للرفض ما لم يتوفر سبب مناسب للغاية لئلا يبدو الاعتذار جافياً . والقبول معناه بقاء الدعوة مثار هم مقيم لشهر من الزمان ، وهو ما يفسد عليّ نظام حياتي . وازاء هذا ليس ثمة سبيل أمامي سوى ترك الامور تجرى على أعنتها والتخلي عن الدعوة في اللحظة الاخيرة . وهي طريقة لا ارضاها لنفسي ولا طاقة لي على اتباعها .

وهكذا مضيت ذات امسية من امسيات شهر يونيو – في شيء من الاشياء – لتناول العشاء مع آل مكدونالد الذين تجمعني وإياهم صلات مودة ومحبة . فغادرت في النصف بعد الثامنة مسكني في شارع « هاف مون » ومشيت حتى نهاية الشارع حيث توجد دار آل مكدونالد . ولقد وطنت نفسي منذ عدة سنوات على عدم تناول الطعام مع اناس أكرههم او احتقرهم . وعلى الرغم من انني بسبب هذا قد نعمت فقط بضيافة نفر قليل من الناس الا انني لا ازال اعتقد انها قاعدة طيبة . وآل مكدونالد ظرفاء ولكن حفلاتهم من النوع الصاخب . كانوا يتوهمون انهم اذا دعوا للعشاء ستة افراد لا يجد بعضهم ما يقوله للآخر فالحفلة لا بد فاشلة ، أما اذا ضاعفوا العدد الى ثلاثة امثاله فالحفلة لا بد ناجحة . ووصلت دار مكدونالد متأخراً قليلاً ، اذ لم تكن هناك ضرورة للذهاب بتاكسي ودارهم لا تبعد كثيراً عن داري . وكانت الحجرة التي استقبلت فيها حافلة بأشخاص لا اعرف الا القليل منهم . وغاص قلبي اول الامر اذ تصورت انني سأتحدث في حفلة عشاء طويلة مع شخصين غريبين تماماً . ثم سرعان ما طمأنت نفسي عندما لمحت توماس وارتون وزوجته ماري يدخلان . وزاد سروري عندما جلسنا لتناول العشاء فوجدت مكاني الى جانب ماري.

كان توماس وارتون رسام اشخاص، حقق في وقت من الاوقات نجاحا فنيا ملموسا، بيد أنه لم يبلغ بعد هذا المكانة التي كان يطمح اليها في شبابه حتى ان النقاد انقطعوا لفترة طويلة عن الاهتمام بشأنه . ومع انه استطاع الحصول على دخل ثابت مناسب الا ان لوحاته المتكررة التي كان يعرضها في اكاديمية الفن عاما بعد عام ، والتي تمثل هواة الصيد والتجار الأغنياء لم تحظ من احد بأكثر من نظرة عابرة . والمرء قد يود الاعجاب بلوحاته فهو لطيف طيب النفس . تراه لو كنت كاتبا يتحمس لكل ما تكتب ويشيد بالنجاح الذي تحرزه . وتتمنى أنت ان تجد فرصة مواتية تنوه فيها بانتاجه وفنه . ولكن هيهات ان ترضى بلوحاته المتكررة التي لا تعدو روعتها براعة الشبه التام بالذين يرسمهم .

اما ماري وارتون فكانت في مطلع حياتها مغنية معروفة ، ولا يزال في صوتها بقية من عذوبة وسحر . ولا بد انها كانت جذابة في شبابها . وهي الآن في الثالثة والخمسين ، تعلو وجهها مسحة من التعب وتبدو سماتها اقرب الى الرجولة ، وبشرتها قد لوحها الزمن . ولكن شعرها القصير الأشيب غزير الخصلات وفي عينيها بريق وذكاء . وثيابها انيقة وان بعدت عن الطراز السائد . كما انها تهوى التزين بالقلائد والأقراط الغريبة . وهي جافة الطبع حاضرة البديهة حادة اللسان . ولهذا فكثيرون من الناس لا يحبونها. ولكن احدا لا ينكر انها في غاية الفطنة . ولم تكن موسيقية فحسب وانما كانت ايضا من المولعات بالمطالعة والمتحمسات للرسم ، وذات ذوق فني نادر . تعجب بالجديد الحديث عن ميل فطري لا عن تصنع وتكلف . وقد ابتاعت لوحات رسامين مغمورين اصبحوا فيما بعد من كبار المشهورين . تستمع في بيتها لأحدث الوان الموسيقى الغريبة التي يصعب تذوقها. وما من شاعر او كاتب في اوروبا يقدم لونا جديدا غريبا الا وتراها على استعداد للدفاع عنه ضد المتزمتين . ويستطيع المرء ان يقول انها

على قسط كبير من الثقافة . وهذا صحيح فذوقها قلما يخطىء وحكمها سليم وحماستها صادقة .

وما من احد أُعجب بها مثلما أُعجب بها توماس وارتون . وقد هام بحبها يوم كانت مغنية وراح يلح في طلب يدها . ورفضت طلبه اكثر من مرة ، ويخيل الي انها تزوجته في النهاية وهي مترددة وعلى اعتقاد منها بأنه قد يصبح فناناً كبيراً . وعندما صار مجرد رسام ماهر الصنعة ، خالٍ من الأصالة والخيال ، احست انها خدعت في امره . وزاد من كدرها ازدراء العارفين للفن لوحاته ورسومه . ولكن توماس وارتون موله في حب زوجته شديد الاحترام لحكمها . وخير له ان تمتدحه هي بكلمة واحدة من ان تشيد به صحافة لندن وتسخر بأعمدتها على فنه . وكانت هي اخلص واصدق من ان تقول ما لا تؤمن به . وجرحه في مرارة انها تنظر الى عمله نظرة مزرية . ومع انه يتظاهر بالتهكم من هذه الحال الا انه في قرارة نفسه يستاء من تعليقاتها . واحياناً ، يشيع الغضب في وجهه الطويل الذي يشبه وجه الحصان وتسود عيناه بالكراهية على نحو يشق عليه كبته . وذاع بين الاصدقاء ان الزوجين ليسا على وفاق . وكان من عادتها المرذولة فضح حالها على الملأ . ومع ان وارتون من ناحيته لم يكن يتحدث عن زوجته ماري الا بكل اعجاب ، الا انها كانت اقل اكتراثاً منه . والخلصاء من اصدقائها كانوا يعلمون مقدار سخطها عليه . كانت تعترف بطيبته وكرمه وعدم انانيته . كانت تعترف بذلك كله دون تأفف . غير ان معايبه كانت من نوع يجعل الحياة معه من الأمور الصعبة ، فقد كان ضيق الأفق ومجادلاً مغروراً . ولم يكن فناناً حقاً . وماري تهتم بالفن قبل اي شيء آخر في الحياة . كان شيئاً لا تستطيع التغاضي عنه . واعماها ذلك عن كون عيوب وارتون التي جنّت لها سببها الى حد كبير شعوره الجريح . كانت تجرحه باستمرار وكان هو متعصباً لا تلين له قناة . وليس آلم على النفس من ان يلقى المرء الاحتقار من الشخص الوحيد الذي تعد مرضاته كل شيء بالنسبة اليه . ورغم ان توماس وارتون لا يطاق فانه لا يسعك الا ان ترثى لحاله . ولعلني لا اكون منصفاً اذا بدا من حديثي ان ماري امرأة متكبرة غير قانعة . فهي صديقة مخلصة ورفيقة لطيفة . اذا تحدثت إليها في اي موضوع تجد حديثها يشع حياة وعذوبة وفكاهة .

كانت تجلس — في حفلة العشاء — عن يسار مضيفها وكان الجميع يتحدثون من حولها . اما انا فكنت مشغولاً بحديث احد الجيران ، ولكنني تبينت من ضحك الضيوف للنكات التي كانت ماري تتفكه بها ان روحها المعنوية عالية . وهي اذا « تجلت » لم يسهل على احد مطاولتها .

وما ان دارت برأسها اخيراً ناحيتي حتى قلت لها : انت الليلة على احسن حال .

فقالت : ايدهشك هذا ؟

— كلا ، انه ما اتوقعه منك . ولا عجب إذا تلهف الناس لدعوتك الى بيوتهم . فان لك موهبة عظيمة تكفل نجاح الحفلات .

— انني ابذل اقل ما في وسعي حتى اكسب عشائي !

— وبهذه المناسبة ، كيف حال مانسون ؟ قيل لي انه نقل الى المستشفى لاجراء عملية . ارجو ألا يكون الامر خطيراً .

وتمهلت ماري لحظة قبل ان تجيب وهي لا تزال تحتفظ بابتسامتها المشرقة : الم تطالع صحف المساء ؟

— كلا ، كنت العب الجولف . ولم اعد للبيت الا للاستحمام واستبدال ثيابي بسرعة .

— لقد توفي في الساعة الثانية بعد ظهر اليوم .

وكنت على وشك ابداء شيء من الدهشة والفزع ، ولكنها منعتني قائلة : خذ الحذر ، ان توم يراقبني مراقبة الفهد . والجميع يراقبونني . انهم يعرفون حبّي له . ولكن احداً لا يعلم بالتأكيد انه عشيقي . حتى توم نفسه لا يعرف . وهم يريدون جميعاً رؤية اثر وقع المصاب علي . تظاهر انك تحدثني عن موضوع الباليه الروسي .

وفي هذه اللحظة خاطبها احدهم من جانب المائدة الآخر ، فما كان منها الا ان القت برأسها قليلاً الى الوراء كما هي عادتها ، ثم ابتسمت ابتسامة عريضة ، واجابت المتحدث اجابة سريعة لبقة ضحك لها الجميع . ومرة اخرى اتخذ الحديث وجهة عامة . ورأيتني وحدي والدهشة تستحوذ على خواطري .

كنت لا اجهل ، ولا احد يجهل ، ما بين جيرارد مانسون وماري وارتون من رابطة عاطفية طوال الخمس

والعشرين سنة الماضية . وامتداد هذه العلاقة بينهما جعل حتى الاصدقاء الذين لا يتغاضون عن شيء كهذا يرتضونها بشيء من التسامح . وقد تقدمت بهما السن ، فمانسون في الستين وماري ليست اصغر منه كثيراً ، ولهذا كان غريباً ان يحجما عن فعل ما يحلو لهما . تارة تراهما معاً في ركن قصي بمطعم مهجور ، وتارة تجدهما يتمشيان سوياً في حديقة الحيوان ، فتعجب لماذا يهتمان باخفاء مسألة ليست من شأن احد غيرهما . طبعاً كان هناك توماس ، وهو غيور على ماري الى حد الجنون . وكثيراً ما تشاحن معها . وقد حملها في نهاية فترة عصيبة — منذ وقت بعيد — على ان تعده بالامتناع عن رؤية مانسون بعد ذلك ابداً . وطبعاً لم تف بالوعد . ورغم علمها بريبة توماس فانها احتاطت فقط لئلا يفتضح سرها .

كانت المسألة شديدة الوطأة على توماس . وأرى انه كان بوسعهما الحياة معاً على خير حال لو ان ماري ارتضت كونه رساماً في المرتبة الثانية ، ولو لم تكن مقابلتها مانسون قد زادت في قسوة حكمها . ولكن البون الشاسع بين خمول زوجها وذكاء حبيبها قد نغص حياتها . فقد قالت لي انها تشعر مع توم كأنما هي في حجرة مغلقة مغبرة الاثاث ، بينما تشعر مع جيرارد انها تستنشق هواء قمم الجبال النقي .

ولما سألتها على سبيل الاستطلاع المجرد : هل يمكن للمرأة ان تحب الرجل لعقليته ؟

اجابت : واي شيء آخر في جيرارد ؟

واعترف من ناحيتي انه كان سؤالاً محيراً ، لاعتقادي انه ليس ثمة شيء اغرب من الناحية الجنسية . واراني كنت اميل الى تصديق ان ماري رأت في جيرارد مانسون من اللطف والجاذبية ما عمي عنه الآخرون . ذلك ان مانسون كان رجلاً ضئيل الجسم ، ذا رأس اصلع لامع ووجه شاحب ذكي ، تطل من خلف نظارته عينان زرقاوان ذابلتان . مظهره ابعد ما يكون عن العاشق الرومانسي . ولكنه كان بالتأكيد نقاداً بارعاً وكاتباً موفقاً . وكنت شخصياً استاء بعض الشيء لتحامله على الكتاب الانجليز اللهم الا اذا كانوا في عداد الموتى . ولكن اتجاهه هذا كان يرجح كفته عند الطبقة المثقفة التي تراها تميل دائماً للاعتقاد بأن نتاج الفكر المحلي ليس بالشيء الرائع ، وكان تأثيره على هذه الطبقة كبيراً .

ولقد قلت له في احدى المناسبات انه يكفي ان نقدم له انتاجاً عادياً في ثوب فرنسي حتى يخدع بجودته . واعجبته النكتة الى حد انه ذكرها في احدى مقالاته على انها من بنات افكاره . ومقارناته بين معاصريه وبين اولئك الذين يكتبون بلغات اجنبية جلبت له التقدير والمدح . والشيء المثير ان احداً لا ينكر ان مانسون نفسه كاتب بارع شيق الاسلوب واسع المعلومات . يتعمق دون ملل ويمتع دون اسفاف ويتأنق في عباراته دون تكلف . وحتى ابسط مقالاته تغري بالمطالعة . وكانت مقالاته في جملتها روائع صغيرة . ومع ذلك فانني شخصياً لم اجد فيه الرفيق الانيس . ومن يدري لعلني لم اتبين احسن خصاله . ورغم معرفتي اياه لسنوات عديدة لا اذكر انني سمعت منه شيئاً ممتعاً . لم يكن ثرثاراً ، واذا عنت له ملاحظة قالها في ابهام وغموض . ولهذا كانت فكرة قضاء سهرة معه وحده لا تسرني . ولطالما استبدت بي الحيرة اذ كيف يكون هذا الرجل الكئيب الضئيل المتعالي قادراً على الكتابة بمثل هذا الاسلوب الاخاذ الممتع .

وزادت حيرتي اكثر واكثر ان توليه امرأة لطيفة خفيفة الروح مثل ماري كل هذه العاطفة العارمة . ترى ما تفسير هذا كله ، واي شيء في هذا الشخص المشاكس الساخط يجذب النساء اليه . ان زوجته مولهة بحبه. انها امرأة شحيحة مملة ، جعلت حياته حياة كلب مهان . ومع ذلك كانت ترفض دائماً الطلاق منه . وقد هددته بالانتحار اذا هو هجرها. ولما كانت عصبية غير متزنة فانه لم يكن على يقين قط من انها لن تقدم على الانتحار. وذات مرة، كنت اتناول الشاي مع ماري فوجدتها مهمومة مهتاجة . ولما سألتها عن السبب اجهشت بالبكاء ، وقالت انها تناولت الغداء مع مانسون فوجدته محطماً اثر شجار عنيف مع زوجته .

وصاحت ماري قائلة : اننا لا نستطيع الاستمرار على هذه الحال . انها تحطم حياته. انها تحطم حياتنا جميعاً.

فقلت لها : ولماذا تترددين ؟

فقالت : ماذا تعني ؟

فأجبتها : انتما متحابان منذ فترة طويلة ، يعرف الآن كل منكما الآخر حق المعرفة ، يعرف خيره وشره ،

والسن تتقدم بكما . ومن المؤسف تبديد حب استمر طويلا . ثم اي خير يعود على مسز مانسون او توم ؟ اهما سعيدان لانكما تنغصان حياتكما بهذه التعاسة ؟

قالت : كلا .

قلت : اذن لم لا تتجاهلان كل شيء، وتذهبان معاً وليكن ما يكون ؟

وهزت ماري رأسها وقالت :

« طوال ربع قرن ونحن نتحدث في ذلك بلا انقطاع . انه مستحيل. لقد مضت سنوات وجيرارد لا يستطيع بسبب بناته . ربما كانت مسز مانسون تحبهن ولكنها لم تكن أماً صالحة. ولهذا لم يحمل عبء تنشئتهن سوى جيرارد . والآن وقد تزوجن فانه مضطر للتمسك بمحيطه وعاداته . ماذا نفعل ؟ انذهب الى فرنسا او ايطاليا ؟ كنت اكره انتزاع جيرارد من محيطه الفكري لئلا يشقى. فهو ليس صغير السن بحيث يبدأ من جديد . وفضلاً عن ذلك فهناك توماس الذي يحبني رغم انه يضايقني ويتشاجر معي ويحرق كل منا اعصاب الآخر. وعندما افكر في هجره تخونني شجاعتي ، فهو لا محالة تائه بدوني . »

فقلت لها : هذه حالة لا مخرج منها، ويؤسفني ذلك .

وفجأة اشرق وجه ماري الهزيل بابتسامة ارتسمت على فمها الاحمر الواسع. ورأيتها في تلك اللحظة جميلة حقاً .

ـ لا داعي للأسف. لقد كنت منذ لحظة مهمومة النفس ، واراني الآن احسن حالاً بعد هذا البكاء . انني ما كنت لأحجم عن هذه العلاقة لو اعطيت الدنيا كلها ، رغم ما جرته علي من ألم وتعاسة . ولا مانع عندي في ان اعيش مرة اخرى حياتي كلها من اجل نشوة تلك اللحظات القليلة التي منحني حبي إياها. ولعله هو ايضاً يقول لك نفس الشيء .

وغلبني التأثر فقلت : لا شك في هذا. انه الحب طبعاً .

فقالت : نعم هو الحب ، وليس لنا الا ان نمضي في سبيله فلا مخرج لنا منه.

***

والآن جاء المخرج مع هذه المفاجأة القاسية . وتطلعت الى ماري وانا ادور برأسي قليلا ناحيتها ، وما شعرت هي بذلك حتى نظرت الي وعلى شفتيها ابتسامة .

فقلت لها : لم جئت الى هنا الليلة ؟ لا بد ان الامر يحزن لك .

فهزت كتفيها وقالت : وماذا عساي افعل؟ لقد طالعت النبأ في صحف المساء عندما كنت ارتدي ملابسي . وكان قد طلب الي عدم الاتصال تلفونيا بالمستشفى بسبب زوجته . انه الموت ، الموت بالنسبة الي . ومع ذلك كان لا بد من حضور الحفلة اذ ارتبطنا بها منذ شهر. فأي عذر لي امام توم؟ والمفروض انني لم أر جيرارد منذ سنتين . هل تصدق اننا كنا نتبادل الرسائل يومياً خلال العشرين سنة الماضية .

وارتعشت شفتها السفلى قليلا فعضتها، واذا بوجهها تعلوه سحابة حزن غريبة . ولكنها سرعان ما تمالكت اعصابها وابتسمت ثم قالت : لقد كان كل شيء لي في الحياة . ولكني لم اكن لامتنع عن حضور الحفلة. اكان هذا في وسعي؟ وهو الذي كان يقول لي دائماً ان لي نزعة اجتماعية .

ـ من حسن الحظ ان الحفلة ستنتهي سريعاً ، وتستطيعين العودة الى البيت.

ـ لست اريد العودة للبيت فما اريد ان اكون وحيدة . ولست اجرؤ على البكاء خشية ان تحمر عيوني وتتورم . فقد دعونا جماعة من الناس لتناول الغداء معنا غداً . وبهذه المناسبة ارجو ان تحضر كذلك . فانا في حاجة الى رجل لكثرة النساء بين ضيوف الغد . ان توم يتوقع عقد صفقة لاحدى لوحاته وعلي ان اكون في حالة حسنة .

ـ لله كم انت شجاعة .

ـ اتعتقد ذلك ؟ انني كسيرة الفؤاد كما تعرف . واظن ان ما يهون علي الامر ان جيرارد ما كان يسره ان يراني حزينة . ولكان يقدر سخرية الموقف . انه الشيء الذي كان يعتقد دائماً ان الروائيين الفرنسيين يحسنون وصفه .

حسن المعراد

طلائع النهايـة

أخي : « للأديب »، في قلبي ، ذكريات ؛ فمن صفحاتها انطلقتُ ، وعرفت ؛ وعلى صفحاتها ، أنهي — بهذه الابيات — حياتي الشعرية . سلامي اليك ؛ عش سعيداً واسلم لأخيك (وصفي)

حسْبي ؛ فهذا دمي قد جفَّ ، واتَّأدتْ — خطايَ ، وانطفأتْ ، في دربيَ ، الشهبُ
أمضي ، مع الدرب ، حيرانَ الخُطا ، قلقاً ؛ — والتيـهُ ، يُجهشُ في قلبي ، وينتحب
جفَّ البيانُ ، وكان الوردَ ، في شفتي ، — وكنتُ ، ان قلتُ شعراً ، برعم الأدب
تمرُّ سمراءُ ، ان مرَّتْ ، فيتبعهـا — طرْفي فيكبو ، فيُغضي ، والهوى تعبُ
ويزأرُ العصرُ ، أحداثـاً ، فألجمُهـا — بالصمتِ ؛ كالقبر ، لا شوقٌ ولا غضبُ
وكنتُ — إذ كنتُ شعراً — كلما ومضتْ — بنـا الحوادثُ ، كالتيار ، أصطخب
إن قلتُ ، فالعربُ الأحرار ، في قلمي ، — كأنني ، — وأنا منهم ، — انا العربُ

على الشفاهِ ، — ومالي لا أدلُّ بها — — قصائدي ، خمرةٌ ؛ أو نكهةٌ ، عجبُ

صحَا السرابُ ، فنام الشعرُ ، في كبدي ؛ — كان السرابُ ، مُنىً ؛ إنَّ المنى لهبُ
الكأسُ ، تلهثُ ، في كفّي ، وقد ظمئت ؛ — والصمتُ ، مُتكئٌ ، كالكأس ، مكتئبُ
يا ذكريات ؛ اسكبي في الكأس ، مضطرماً ، — كالنار ، من أمسنا ، يضحكْ بها الحبَبُ
خبَتْ ليـاليَّ ؛ إلاّ من تنهُّدةٍ ، — تئنُّ ثكلى ، وإلاّ ، خافقـاً ، يجبُ

حسبي ! وأفرغتُ كأسي ؛ في قرارتها ، — أفرغتُ دُنيايَ ؛ لا جدٌّ ، ولا لعبُ
أحِسُّ — إن مِلتُ بالصهباء اسكبُها — — كأنَّ عمري ، وراءَ الكأس ، ينسكبُ
أرى النهاية ، خلفَ الدربِ ، تومئُ لي ، — تخبُّ نحوي ، ومشيي ، نحوها ، خبَبُ
واليأسُ — هذا الفراغ ، الميتُ ، في كبدي — — ليلٌ ؛ تساوى لديه ، البعدُ ، والقربُ
ألعُقمُ ، والليلُ ، والصحراءُ ؛ تلك أنا ؛ — حتى ، كأنيّ ، إليَّ الموتُ ينتسبُ

قلبي (كنرجيلتي) ، يُغفي على حلمٍ ؛ — قلْ ، يا رمادُ ، تُرى هل يُورقُ الحطبُ ؟

يا دربُ ، عد بي ؛ فصاح الدربُ : واحزَني ؛ — وأطرق الشيبُ يبكي : فاتك الطلبُ
هيهات ! أوْ يستردّ النبعُ جدولهُ ؛ — ويُورقُ الشوكُ ، في عنقوده ، عنبُ
إذا الشبابُ مضى ، فالعُمْرُ ، أطيبُهُ — مضغُ الرمالِ ؛ سرابٌ ، طعْمهُ ، كذِبُ

ماذا ؟ — وماتَ سُؤالٌ ، لاجوابَ له ؛ — ومالَ هُدْبٌ ؛ وأغضى ، لا يرى ، هُدُبُ

حمص

وصفي قرنفلي

بين الخيام ومترجميه

بقلم ابراهيم العريض

كان اول اطلاعي على معاني الخيام (١) الفلسفية لما كنت تلميذاً في الهند ناشئاً . وذلك خلال ترجمة « فتزجرالد » الشهيرة . فقد كنت أترنّم بأبياتها شغفاً في خلواتي . حتى لأذكر اني ما كنت في انشادي ابلغ قوله

Ah ! Moon of Delight who knowst no wane,

حتى تهطـــل دموعي وأجهش بالبكاء . لمـا كان يغمرني من شعور ببطلان الحياة ويتولاني من حسرة على زوال الآثار .

هذا وانا ناشيء اجهل الفارسية اذ ذاك .

ومضت السنون تترى . وانا اجدد عهدي بمطالعتها بين حين وآخر . حتى شاء الله ان ارشف من منهل العربية العذب . وتحت سماء وطني لاول مرة وقعت في يدي ترجمة للخيام عربية – تعريب وديع البستاني – فوقفت ازاءها طويلاً . وانا اطوي بين ضلوعي للخيام ذلك الاحساس القديم .

ثم اعقبتها واحدة تلو الاخرى تراجم كثيرة – آخرها هذه – نثراً ونظماً . فقد عرّبها السباعي والزهاوي والصّراف والرامي ثم الصافي (٢) . ولكل منهم اسلوب خاص في التعريب يمتاز به عن سواه .

وكان هؤلاء يعولون في التعريب على التراجم الاجنبية . ولا يتقيدون بتربيع الاشطر . حتى جاء المتأخرون فجعلوا قبلة انظارهم الاصل الفارسي بالذات . وكان اشدهم تمسكاً به الصافي في معظم الرباعيات .

فمثلاً اشار البستاني اشارة الى الرباعية الشهيرة :

كر كوهر طاعتت نسفتم هر كز   ور كرد كنه زرخ نرفتم هر كز
نوميـد نيم زباركاه كرمت   زيراكه يكي راد ونكفتم هر كز

(معناهـا : اني وان لم انظم لآلىء طاعتـك في سلك . ولم انفض عن وجهي غبار الخطيئة . فلست يائساً من فيض كرمك . لأني لم أقل الواحد اثنين قط)

اشار اليها بقوله في الفاتحة :

ربّ رحماك ما كسبت ثوابا
لا ولا كنت مستحقاً عذابا
انمـا قلت مـا رأيت صوابا
ووجودي عليّ كان مصابا
وعزائي الجميـل كان الحبابا
وكفاني التوحيد ذخراً فانّي
لم أعـدد في ديني إلا ربـابا

وقد عرّبها الزهاوي :

أنا يا ربي الرحيم وان كنت لجهلي مقدماً كل شين
ليس بي يأس منك اذ لم أقل للواحد الفرد في حياتي اثنين

وعرّبها الرامي :

ان لم اكن اخلصت في طاعتك   فانّني فت الى رحمتك
وانمـا يشفع لي انـني   قد عشت لا اشرك في وحدتك

وعرّبها الصافي :

ان لم أطعك الهي في الحياة ولم أطهّر النفس من ادران عصيان
فليست النفس من جداوك قانطة اذ لم اقل قط ان الواحد اثنان

واليك رباعية ثانية :

افسوس كه نامه جواني طي شد   وين تازه بهار شادماني دي شد
آن مرغ طرب كه نام او بود شباب   صد حيف ندانم كه كي آمد كي شد

(معناها : وا حسرتاه فقـد طوى سفر الشباب . وأصبح ربيع السرور شتاء . والطائر الغرد الذي كان اسمه « الصبا ». يالهفتاه أنّى أتى وأيّان ذهب)

فقد عرّبها البستاني :

ايه سفر الحيـاة آن اختتامك
ايه خيّام قـد تداعت خيامك
وتدانت من حدهـا ايامـك
وليـالي الربيع كنّ قصارا
وهزار الشباب غنّى وطـارا
يا هزار الشباب لو كنت ادرى
منك هـذا لـمتك الأغلالا

وعرّبها السباعي :

لهفتا ان غاض نهر يفهق   وخبا ورد الربيع المشرق
وانطوى سفر الشباب العبق   وهزار ناح حيناً وهدر
خبّروا انّى اتى أو أين طار

---

(١) مقدمة صدّر بها تعريب الرباعيات جديد .

(٢) وقد انضمّ الى هـذه الزمرة من شعرائنا – وبعدهم بفترات مختلفة – علي محمود طه والدكتور ابو شادي والمازني ... وسواهم آخرهم الملائكة .

وعرّبها الزهاوي :

لهف نفسي على شباب تولّى ... وربيع من السرور توارى
انما الطائر المسمى شبابا ... بعدما قد أقام يهتف .. طارا

وعرّبها الرامي :

طوت يد الاقدار سفر الشباب ... وصوّحت تلك الغصون الرطاب
وقد شدا طير الصبا واختفى ... متى أتى - يا لهفا - أين غاب

وعرّبها الصافي :

قد انطوى سفر الشباب واغتدى ... ربيع افراحي شتاء مجدبا
لهفي لطير كان يدعي بالصبا ... متى أتى وأيّ وقت ذهبا

ولا يغرب عن البال ان الرباعية الاولى تشير ضمنا الى قوله تعالى : ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء . وان الرباعية الثانية أنة الم صادرة من قلب الخيام تفتت الاكباد .

وقد عربتها :

لئن قمت في البعث صفر اليدين ... وعطّل سفري من كل زين
فيشفع لي أنني لم أكن ... لأشرك بالله طرفة عين

*

تولّت ليالي الربيع القصار ... وأسدل دون الشباب الستار
وعهدي بطير الصبا شاديا ... لي الله أنّى أتى - أين طار

*

اما الخيام فقد كان رجلا تصدق فيه الآية الكريمة : يا أيها الانسان ما غرّك بربك الكريم . وهو لو سئل بين ندمائه بها لما تردّد لحظة ان يقتبس الجواب من نفس الآية ويقول : يا ربّ كرمك .

والذين يلمون بالفارسية ويحيطون بها خبراً متفقون على ان شخصية هذا الشاعر الحكيم بارزة ملموسة في شعره . ليس لما يبديه من الحيرة التي أصبحت اليوم شعار عصرنا المادي فحسب . ولا لما يدعو اليه من اللذة التي اصبحت غاية الكثيرين المتوخاة . بل وبالاسلوب الجميل الذي سبك هو في تلك الرباعيات ... وبالعواطف الجامحة التي تغمره في امواجها احياناً . فتعلو وتهبط به كالسفينة في مهب الرياح . بين اضطرابه وسكونه . وشكه ويقينه . وعربدته وخشوعه . وسخطه ورضاه .

فان الذين نظموا امثالها من رباعيات من شعراء الفرس قبل الخيام وبعده - كالفردوسي والعطّار وطوسي وحافظ - كثيرون . ولكن من مميزات الخيام على شعراء بني لغته انه لا تخفى شخصيته او تنزوي وراء الكنايات والتعاريض . كالتي تكثر في آثار متشدقي الصوفية وتغلب عليهم . وان حاولوا ان يضربوا في المعاني على نفس وتره . وهذا مما ساعد الباحثين على التمييز بين الغث والسمين في هذا المنسوب اليه .

والخيام أبعد ما يكون عن الغموض . وما جاء في شعره غامضاً فتيقن انه ليس له . فهو صريح .. صريح في غايته الى حد الاجحاف بالعقل والدين معاً . صريح في لهجته الى حد الازدراء بكل شيء وانكار كل شيء . صريح في اسلوبه الى حد - كدت اقول - الاعجاز .

أما غاية فلسفة الخيام فتجدها ملخصة في قوله معربا :

أليس من الحتم اني سأردى ... وهيهات انعم بالعيش بعدا
فما لي ما دمت حي الشعور ... أقيم من الوهم حولي سدا

فذلك ما جعله يتخذ التشاؤم مذهباً في الحياة .

وهذه الغاية هي التي حام المترجمون والمعربون كلهم حول التعبير عنها . فوّفق بعضهم على حسب ما بذل من جهد . ولكن لهجة الرباعيات وأسلوبها اللذين نستشف من ورائهما - كالزجاج - تلك الروح الخيامية ، ذلك ما لم يوّفق منهم في تمثيلها الا اقل القليل .

* * *

ولفتزجرالد في ترجمته - عدا فضيلة السبق - فضل آخر . وهو سلامة الذوق في حسن الاختيار . فقد حاول جهده ان يمثل الروح الخيامية في لغته احسن تمثيل . والحقيقة التي يشهد بها التاريخ انه بعث الخيام من مرقده . وأسمع اوربا الحائرة صوته الرخيم . بعد ان اصبحت عظام ذلك الشيخ الجليل اثراً بعد عين .

والعجيب انه لم يوفق الى هذا كله بمتابعته للاصل خطوة خطوة . ومجاراته للرباعيات كلمة كلمة - كبعض المتأخرين عنه امثال هوينفيلد وغيره . ولم يكن ذلك منه عجزاً وضعفاً . فانه لو فعل ذلك لبقيت ترجمته جافة كتلك التراجم الاخرى التي ظهرت بعده بأقلام ناقديه من الانكليز وسواهم .

فان هذه التراجم وان كانت تترجم الاصل ترجمة لفظية وتجمد عليه . الا انها تفقد بجمودها تلك النشوة التي يشعر بها ندماء الخيام في فضاء معانيه . وذلك الطرب الذي يغشى جنان من يتذوق الرباعيات في أصلها البديع بين مختلف لحون قوافيه .

ففتزجرالد على المامه الواسع بالفارسية واحاطته بآدابها ، يعترف في مقدمته انه تعمد التقديم والتأخير في الرباعيات ، بل وتعمد حذف كثير من صورها المكررة ليجعلها في لغته سائغة ـ كالشراب الذي كان يترنح له الخيام . فكأني به جاء الى بستان شرقي انيق، فاستخلص من ازهاره الكثيرة عطراً عطّر به في بلاده الارجاء . وما فتيء الى يومنا هذا يفوح في الغرب شذاه .

ولا تنس ان الرباعيات في اصلها الفارسي انما رتبت بعد الخيام على حروف « أبجد » ـ كما هو الحال في اكثر دواوين أهل الشرق(٢) ففقدت بذلك قيمتها التاريخية التي عليها المعول غالباً في البحوث عن نشأة الافكار وتطورها مع الزمن في شاعر جدير بالدرس كالخيام .

وليس ذلك فحسب . بل مما زاد الطين بلّة ان الكثير من هذا المنسوب الى الخيام في المخطوطات المتأخرة عن عصره بقرون والتي يبلغ في بعضها بمجموع الرباعيات زهاء الف ، هو بعيد عن روح الخيام ـ والأرجح انه منحول عليه ـ وقد عانى ادباء الغرب كثيراً في تخليص ذهبها من الشوائب التي تراكمت عليه على مرّ العصور .

وبعض هذا المنحول دسّ في شعره عمداً من خصومه ومخالفيه الذين كانوا ينعون عليه تهتكه وعدم حرمته للدين . فقد كانت بين الخيام ومعاصريه من الصوفية حرب شعواء . فكان هو ينكر عليهم عماياتهم وضلالهم وكانوا هم يتهمونه بالزندقة . فلأثارة الفتنة عليه من العوام دس في شعره هذا الذي وان يشبه رباعياته من بعض الوجوه ، الا ان عدم المبالاة فيه بما يقدسه الناس من دين أشد بروزا والزراية بعقولهم اكثر ظهورا . والبعض الآخر نسب اليه سهواً من بعض ناسخي رباعياته لمشابهته لأغراضها ومعانيها من وجوه عدة . واحياناً لمجرد تشابه الاوزان ـ فان الرباعيات في الفارسية كلها على وزن واحد ـ وقد أمكن الممحّصين ان يرجعوا كثيراً من هذا النوع الى مصادره في دواوين غيره من الشعراء بعد درس الرباعيات . كالرباعية الآتية :

يارى كه دلم زيهرا وزار شدست   او جاى دگر بغم گرفتار شدست

مندر طلب علاج خود جون كوشم   جون آنكة طبيب ماست بيار شدست

(معناها : ان الحبيب الذي قلبي من جرّائه في سقم . أصبح يعاني الهم لتعلقه بسواي . فكيف يسعني ان اسعى في علاج نفسي . اذا كان الطبيب الذي اتعالج على يديه هو مريض) .

هذا ما فطن له فتزجرالد بديهة . فترجم من الرباعيات تلك التي أحسّ فيها بنجوى الخيام . ونبذ سواها مما لا يتفق وروح ذلك الفيلسوف الحكيم الذي عرفه عصره رياضياً قبل ان يعرفه شاعراً .

* * *

وحيال هذه الرباعيات ـ وغيرها من الآثار الشعرية ايضاً ـ مشكلة اخرى تعترض سبيل الذين يحاولون نقلها الى لغاتهم . وهي وان لم تكن أصعب فليست بأخف من هذا الذي عاناه الادباء في تمحيص زائفها من الصحيح .

وذلك ان للكلمات في لغته جوا خاصاً بها لا تجده لمرادفاتها في اللغات الاخرى في أغلب الاحيان . كلفظة « لباس » في الآية الكريمة : هنّ لباس لكم وأنتم لباس لهن . وهذا في مفردات الكلم . فكيف اذا تآلفت مع اخواتها . فأصبحت امثالاً مضروبة تتصل بتاريخ القوم ومعنوياتهم وصيغاً مألوفة تتداولها الأيدي كالدنانير المضروبة في اسواق الادب .

أفترانا لو كنا بصدد ترجمة امثال :

لا يسمن ولا يغني من جوع . ضرب به عرض الحائط . اشتعل الرأس شيباً . اسدلت دونها ثوباً . زاد الطين بلة .

هل نؤدي معناها بترجمة ألفاظها ؟ ومع هذا فانّا قد الفنا استعمالها في حياتنا العامة واحاديثنا اليومية . وكثير امثالها التي سد بها فراغ في لغتنا كبير .

فكذلك الشأن في اللغات الاخرى . فان معظمها غني بمصطلحات كهذه قد الفها أهلها . واصبح استعمالها شائعاً في مواقف لا تجهل لديهم . وانما فضل ترويجها شروعاً عائد الى الآثار الادبية فيها . والشعراء والكتاب الذين يضربون بيد قديرة امثال هذه المسكوكات .

والادباء كالصيارفة ما نبذوه واطرّحوه فهو زائف بلا ريب . وما قبلوه وارتضوه يبقى بين الاهلين نافقاً ـ كالذهب ـ بقاء تلك اللغة في اهلها .

وصيغ كهذه لا يتذوقها ولا يحسن ترجمتها من لا يدرك تلك المواقف ومناسباتها . فيستعير للتعبير عن الغرض ذاتاً من

(٢) يظهر ان المتني هو الوحيد بين شعرائنا الأقدمين احتفظ في ديوانه بالترتيب التاريخي .

لغته ما يقتضيه المقام . وقد جاء في رباعيات الخيام من ذلك الشيء الكثير كقوله :

خون دوهزارتوبه دركردن ماست
او جاميت كه عقل آفرين ميزندش
او كرتو نخورى من جه كنم سنك بخور
او تاهشيارم طرب زمن بنهان است
او مكزاركه غصه دركنات كيرد

* * *

ثم ان هناك كلمات تقتبس من لغة الى لغة للتعبير عن اشياء قد لا توضحها الفاظها ذلك الوضوح . او لزيادة تحسين في المعنى وتصقيل ديباجته .

ولهذا شاهد في الانكليزية . فان كثيراً من الفاظها مستعار من اللاتينية . ولقد اصبحت بفضل اقتباسها هذا من أغنى لغات العالم . حتى ارتأى « لوفل » أحد ادبائها المشهورين انه لولا هذه الاضافات التي جرفهم سيلها من اللاتينية لأشكل كثيراً بل لاستحال عليهم تأدية المعاني النفسية بتلك الألفاظ التي كان يقتصر عليها اجدادهم من قدماء الانكليز .

وضرب لذلك مثلاً بعنوان قصيدة للشاعر وردثورث . وهو : Intimations of Immortality (معناه : لمحات الخلود) وقال : فلو انه عوضاً عن هذا قيل Hints of Deathlessness لفقدت العبارة تلك الروعة التي تخشع لها نفوس الانكليز . وعريت من ذلك الجمال الذي يلمسون اثره في الاولى دون الثانية . بله ما تنطوي عليه من دقائق المعنى .

وهذا صحيح . فان اللغات تتطور مع تطور الزمان . وما يحسن في عصر قد لا يحسن في سواه . واللغة التي تجمد على ما كانت عليه في تاريخها القديم تزول بزواله . ولكن الامر الذي يجب الا نجهله ان تلك الكلمات المقتبسة تؤدي في أصل لغتها اللاتينية مثلاً معنى غير ما يدركه منها الانكليز بعد اقتباسهم لها وتداولهم اياها .

وكذلك الحال في الفارسية . فانها تستمد كثيراً من خزائن لغتنا . حتى اصبح الجانب الاعظم من ادبياتها قائماً على أسس وأركان عربية . ولكن هذه الكلمات العربية التي أصبح اقتباسها عاماً في الفارسية ـ وشغلت حيزاً كبيراً في آدابها ـ غيرها وهي في لغتنا .

والخيام كان ضليعاً في العربية . ولكنه اذا استعمل الكلمات العربية في رباعياته فانما يستعملها لتأدية المعاني التي يألفها واصطلح عليها الفرس دون العرب ـ شأن غيره من الشعراء في بني لغته . فمحاولتنا لتأدية معاني تلك الكلمات بالنص عينه غلط .. وأي غلط .

فاذا سمعت الخيام يقول :

حالي خوش باش زانكه مقصود اينست
او اين نكته بدان كه زند كاني عشق است
او صدكاركني كه مي غلامت آنرا
او روحيست كه او تربيت شخص كند

فهو لا يعني بـ « العشق » ما نفهمه ـ وهذه الكلمة كثيرة الورود عندهم في الشعر الصوفي ـ ولا تؤدي كلمتا « النكتة » و « المقصود » في العربية ما يدركه منها الفرس . والكلمات « غلام » و « تربية » و « شخص » اصبح استعمالها هنا بوجه يستحيل استعمالها كذلك في العربية لعدم وقوعها في محاوراتنا بهذا المعنى الذي يرمي اليه الخيام .

وكذلك استعاراته لصيغ عربية في قوله :

اوزءه « اشربوا » درأيام افكند
او « نقاش ازل » « بهرجه آراست مرا
او احوال « مسافرين دنيا » جون شد
او دركشف حقيقة « شمع اصحاب » شدند

لها معنى من الطرب وجمال فني لا يتذوقه ادباء العرب . ولا يمكنهم ان يشعروا بما تنطوي عليه هذه العرائس العربية في وشاحها الفارسي من سحر عجيب وفتنة .

* * *

ثم ان للصور الشعرية في كل لغة فوق هذا ميزة ثالثة . فان قسماً عظيماً من أشعتها وظلالها لا يبرز للعيان الا في المحسنات اللفظية والمعنوية من مطابقة وجناس وتشبيه واستعارة . ورباعيات الخيام لها روعتها الخاصة في هذا الباب كقوله :

اين جهره كهربا جوياقوت كنيد
او روزيكه نيامدست وروزيكه كذشت
او اين نقد بكيرودست ازان نسيه بدار
او درجشم محققان جه زيبا وجه زشت
او دير آمده ايم ورفت ميبايد زود

ثم تأمل هذه الرباعية :

آن قصركه جمشيد دروجام كرفت آهو بجه كرد وروبه آرام كرفت
بهرام كه كورميكرفتي همه عمر ديدى كه جكونه كوربهرام كرفت

(معناها : ان ذلك القصر الذي تناول جمشيد فيه الاقداح ، أصبح اليوم مولد الظبي ومأوى الثعالب . وبهرام الذي قضى عمره في صيد بقر الوحش ، أرأيت كيف صاده القبر اخيراً) .

« فكلمة « كور » معناها في الفارسية بقر الوحش .. ومعناها ايضاً القبر. أفترى الخيام ما كان يحسن أن يقول الظبي بدل بقر الوحش. ولكنا استوقفته كلمات ــ بهرام كور ــ في صفحات تاريخه القومي . فقال .. ويا حسن ما قال :

« وبهرام الذي قضى عمره كله في صيد ــ الكور ــ أفرأيت كيف صاده ــ الكور ــ اخيراً » .

وجمال هذه الرباعية من الناحية الموسيقية لا يقدره الا أهل البيان .

وتأمل ايضاً هذه الرباعية

آن قصر كه برجرخ همي زد بهلو ــ بردركه او شهان نهادندى رو
ديديم كه بر كنكره ش فاخته ــ بنشسته هميكفت كه كو كو كو كو

(معناها : ان ذلك القصر الذي كان يناطح السحاب . وكان على اعتابه الملوك يعفرون الجباه . رأيت في ركن منه يمامة جالسة تقول ؟؟ ؟؟ ؟؟ ؟؟) .

وكلمة ــ كوكو ــ هو ما يتبادر الى ذهن العوام من زقزقة الطيور . ولكنه في الفارسية ايضاً معناها .. أين أين ؟ فلله در الخيام ! فلقد نفخ في هذه الكلمة البسيطة من روحه حتى أصبحت حافلة بالحياة . وكأنما انطق الطيور بما يفهمه الانس . او جعل هؤلاء يفهمون لغة الطيور . ولا اظن ان في الشعر الفارسي كله وقعت ــ كوكو ــ هذا الموقع الحسن .

وهاتان من اجمل رباعيات الخيام . فكيف يسع المترجم ان ينقل الى لغته شعراً كهذا . أفيقتصر على معناه المجرّد ــ كما يفعل كثيرون ــ فقد عدم الشعر جماله الفني .

أليس يحسن به هنا ان يقف موقف المعرّب عنه ازاء هذا الشعور ، بحيث اذا عربها يثير نفس ذلك الاحساس في قلوب ابناء لغته بالمقومات الفنية التي يقتضيها المقام . وبعبارة اقصر ان يكون في اداء المعاني تام الشاعرية كالمنبع الذي يستقي من سيبه الفياض ؟

* * *

واكثر هذه النواحي تغاضى عنها المترجمون . كما تغاضوا ايضاً عن قوالب الرباعيات ــ فان الرباعية بمقتضى تسميتها تحتوي على اربعة اشطر تكون كلها على قافية واحدة تارة . ويخرج منها الشطر الثالث طوراً . ويشترط فيها الفرس ان تكون على وزن : لا حول ولا قوة الا بالله .

فترجموها سباعيات وخماسيات . وبعضهم نظمها على وزن واحد . وراق آخرين ان ينظموها منوّعة الاوزان ، وهماً منهم ان ذلك يدفع من سأم القارىء . كأنما الخيام نفسه كان يجهل هذه الناحية في رباعياته حتى فطن لها المتأخرون !

وفات هؤلاء ان الاوزان نفسها كثيراً ما تتصل اتصالاً خفياً بختلجات النفس . فمنها ما يزدهيها طرباً ومنها يبعث فيها روح الحزن . فاذا لم يوافق الوزن الشعور الذي يقتضيه السياق ، فقد ذهب المعنى الذي يحتويه هباء .

وما اختار الفرس وزناً خاصاً ــ هو هذا ــ لسبك الرباعيات الا لانهم وجدوه في لغتهم اوفق الاوزان كلها لتصوير كل نواحي الشعور . ولذلك فبينا نجد الخيام يعربد في نشوته بمثل قوله :

ميلم بشراب ناب باشد دايم ــ كوشم بني ورباب باشد دايم
كرخاك مرا كوزه كران كوزه كنند
آن كوزه براز شراب باشد دايم

(معناها : لا زلت مولعاً بالخمر الارجوانية أبدا . ولا زالت أذني تصيخ الى نغمات العود ورنة الاوتار طرباً . واذا

جعل الخزافون من طينتي كوزاً ، فلا برح ذلك الكوز ملآن خمراً) .

نراه اذا افاق استغفر في الوزن عينه قائلًا :

برسينئه غم بذير من رحمت كن　　برحال دل اسير من رحمت كن
برباي خرابات رومن بخشاي　　بردست بياله كير من رحمت كن

(معناها : ارحم يا الهي صدري المفعم بالآلام . ارحم يا الهي فؤاداً لي ما برح في اسار . تجاوز يا رب عن قدم كانت تسعى بي الى الحانات . اغفر يا الله ذنب يد كانت تدني الي الكأس)

وعلى كل فلا زلت ارى انه من اراد ان يدرس الخيام ، فلا احسن من ان يوافيه في لغته ، فان دون الترجمة البالغة والتعريب القويم عقبات جمة أتينا على بعضها . ولا يقدرها الا من عاناها .

ولكن يقول البعض ما الحيلة في اولئك الذين لا يفقهون لغة الشاعر ، ولهم ولوع بدرس معانيه ، كما هو الحال في اكثر المولعين بالخيام ؟ هنا لا بد لهم من الرجوع الى احدى التراجم. ولكن يجب الا ننسى عندئذ اننا لسنا بين يدي الخيام ، ليتلقى تحياتنا على اريكة عرشه . وانما نحن نصافح احد سفرائه الذين تعهدوا بتأدية رسالته . وخير هؤلاء من أدّاها صحيحة . وذلك ان يكون على الوجه الذي تلقاه من فم الخيام – ذاكراً تلك المناسبات التي اقتضت نظمها – الا ان يتصرف بعض التصرف الذي يقتضيه الذوق السليم في نقلها من لغة الى لغة . كما فعل فتزجرالد في نقلها الى لغته .

وكفى بفتزجرالد قدوة في هذا الباب . فان ترجمته هي التي قيل عنها لو بعث الخيام في اللغة الانكليزية لما اتى بمعانيه إلا كذلك .

* * *

والذي دفعني الى تعريب الخيام – رغم محاولات الكثيرين قبلي – هو اني اردت ان انشىء نفس الجوّ الذي كنت اشعر به في تلاوة الخيام منذ صغري . ذلك الجو الذي قارب منه البستاني او كاد لولا انه جعل ترجمته سباعيات .

فان سواه من المعربين استأثر كل من الخيام بتلك الناحية التي لها مساس بحياته الخاصة . فصور لنا بعضهم الخيام صبا مغرماً . والبعض صوره فاسقاً ملحداً . واكثر من الغريب في شعره هذا حتى اصبحت المعاني وقد ضرب دونها حجاب فلا تدرك الا بامعان النظر . وتبذّل في نقله ذاك حتى وقع في ركاكة الناشئين .

وهذا كله بعيد عن روح الخيام وحقيقة شعره . فان الرباعيات في أصلها من السهل الممتنع الذي يفهمه العالم والجاهل سواء . وان لم يقدر على الاتيان بمثلها الارب بيان .

والميزان الحقيقي للشعر هو ان تقارنه بما كتب في معناه نثراً . فان لم يظهر عليه او وقع دونه في التأثير فأنت أمام زائف الشعر لا صحيحه . وبين يديك خرز لا جوهر . ان غش به بصرك فهيهات ان تنخدع لها بصيرتك .

ولذلك فقد كنت اطمح ببصري ان ابرز تلك العواطف المتقدة التي يمتاز بها شعر الخيام في رباعياته معربة نظماً في ابهى حللها للعيان . فكنت اسبك عدة قوالب لمعانيها . واقلبها في شتى الوجوه حتى اتوصل الى صورة لها ترضاها نفسي . ولقد كان اداء تلك المعاني من أسهل الامور . لولا انني كنت اجدها اذا عرّبت لا تهز النفس في التعريب كعهدي بها في الأصل . فلا ازال اعالجها بالاسابيع والاشهر حتى اقع منها على ما لا مطمح لمثلي بعده في رونق الديباجة وحسن السبك .

كالرباعيات الآتية مثلًا :

كما يرفع الزهر في الروض رأسه　　دواماً ليملأ بالطل كاسه
كذلك يجدر بي ان اعيش　　الى ان يذيقني الموت باسه

. . .

فذر عقد الرزق من غير حل　　أليس بأمتع من ذاك.. قل لي
مرور الانامل في شعر خود　　تصب بدل .. وتبقي بدل

. . .

وان لم يدم لك كأس تمل　　وكان عقيب الحياة الأجل
فما كنت أمس – وما اليوم انت　　كذلك تمسي غداً – لا أقل

. . .

فما دام يزهر روض الأقاح　　أعني على رشفها بالمراح
فان طاف ساقي المنايا بكأس　　جرعت قذاها بكل ارتياح

وانا لا ادعي العصمة . فقد كانت تعتريني حالات في التعريب كنت أجيد فيها تارة واقصّر اخرى .

وهذه ثمرات مجهودي – ايها القارىء الكريم – بين يديك .

وأشهد الله انها ليست اقرب التراجم الى الأصل ، **ان كان** يفهم من ذلك العبارات بعينها . فما كنت اتقيد بها احياناً خوفاً من العثار . ولما في ذلك من اجحاف بحق الشعر وتقصير في اداء الرسالة . فقد ترجم الصافي هذه الرباعية مثلًا :

ناكرده كناه درجهان كيست بكو
وانكس كه كنه نكرد جون زيست بكو

من بد كنم وتوبد مكافات دهي
بس فرق ميان من وتوچيست بكو

(معناها : من الذي لم يرتكب في الدنيا ذنبا .. قل لي . وهذا الذي لم يتلطخ ذيله بغبار الذنوب كيف استطاع ان يعيش .. قل لي . واذا انا ارتكبت السيئة فكافأتني بمثلها ، فأي فرق يبقى بين العبد وربه .. قل لي .)

بقوله :

الهي ! قل لي من خلا من خطيئة وكيف ترى عاش البريء من الذنب
اذا كنت تجزي الذنب مني بمثله فما الفرق مـا بيني وبينك يا ربي !

فمها قيل في دقّة ترجمة الصافي فان لغة هذه الرباعية لغة كما قـال أحدهم قديماً في موقف مماثل — لغة فقهية وليست بشعر .

وانما فعلت في العربية ما فعله فتزجرالد في الانكليزية ... فحاولت جهدي ان اجعل ترجمتي أقربها الى روح الخيـام . ولذلك كنت ارجع الى فتزجرالد كثيراً في ترتيب الأفكار التي تتخلل الرباعيات — لأنهـا في الاصل مفككة العرى مقطعة الاسباب — ولأجل المحافظة على وحدة السياق فيها .

فهذه الوحدة في السياق التي تلائم — ولا شيء غيرها يلائم — طبيعة لغة الانجلوسكسون لجلوة معاني الخيام الشعرية . وكما حققها فتزجرالد بعبقريته ، تتساوق مع طبيعة لغتنا التي طابعها ايضاً — كالانكليزية — خطابي . فهما من هذه الناحية متشابهان منطقاً ، فوق تساوقها في الأصل الفارسي الذي سمته الطاغيـة — في غنائيته — الزخرفة والترجيع .

واقتصرت منه على تلك الرباعيات التي تشهد على نفسها انها للخيام لا سواه . وأعرضت عن الهزليـات المدسوسة في شعر الخيام . التي هي أبعد ما تكون عن روحه — وهي التي اعتز بها الصافي كثيراً في تعريبه . واعتبرها من شعر الخيام اللباب وما سواها القشور ... كمثل .

در مسجد اكرچه بانياز آمده ايم حقا كه نه ازبهر نمـاز آمده ايم
روزى زينجـا سجادهء دزديديم آن كهنه شدست باز باز آمده ايم

(معناها : نحن وان جئنا الى المسجد خاشعين . فما ذلك رغبة منا في الصلاة ، وانما كنا سرقنا من هنـا سجادة وقد عفاها البلى ، فعدنا كجارى عادتنا)

او مثل :

هم بنماز و روزه جون مايل شد كفتم كه نجات كام حاصل شد

افسوس كه آن وضو بپادى بشكست واين روزه بنيم جرعه مي باطل شد

(معناها : جنحت نفسي — مرة الى الصوم والصلاة . فقلت الحمد لله لقـد تم لي الفوز . ولكن اسفاً فقد نقض وضوئي بنسمة . وبطل صومي بنصف جرعة خمر) .

ولئن صح ان بعضها للخيام — ولا اخال ذلك . الا ان يكون الخيام قد انساق الى شيء منها مدفوعاً بالذوق المحلي احياناً — فان الصورة الجدية التي اتصور بهـا ذلك الرياضي الشهير في صحيفة خيـالي تأنف مني ان اؤاخذه بمثل هذه الهنـات . والاحقه بها حتى في لحده ، وقد قضى منها غرضه في الحياة .

واما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض .

ثبت المراجع :

عربي

رباعيات عمر الخيام معربة نظماً بقلم وديع البستاني ١٩١٢ القاهرة
رباعيات عمر الخيام ترجمها نظماً محمد السباعي القاهرة
رباعيات الخيام ترجمها من الفارسية نثراً ونظماً جميـل صدقي الزهاوي ١٩٢٨ بغداد
رباعيات الخيام ترجمها نظماً عن الفارسية احمد الرامي ١٩٢٤ القاهرة
رباعيات عمر الخيام تعريب السيد احمد الصافي النجفي ١٩٣١ دمشق
عمر الخيام تأليف وترجمة احمد حامد الصراف ١٩٣١ بغداد
ليالي الملاح التائه لعلي محمود طه القاهرة
مجلة ابولو للدكتور احمد زكي ابو شادي
حصاد الهشيم لابراهيم عبد القادر المازني

فارسي

رباعيات حكيم عمر الخيام بمقدمة فريدرخ روزن برلين ١٩٢٥
رباعيات حكيم عمر خيام من نشريات مؤسسة خاور طهران
رباعيات حكيم عمر خيام بمبي
رباعيات حكيم عمر خيام لكهنو

انكليزي

The Golden Treasury by Palgrave. Oxford World Classics.
Rubaiyat of Omar Khayam. Every Man's Library.
Rubaiyat of Omar Khayam. rendered into English verse by Edward Fitzgerald (all four editions) Knickerbocker Press. London.
The Quatrains of Omar Khayam. The Persian Text with an English verse translation by E. H. Whinfield. London 1883.
A Biographical History of English Literature. Dr. Morrel's Series. London.

البحرين ابراهيم العريض

جميلة بنت الجزائر

قال مراسل فرنسي : « في فجر صباح كئيب خرج السجناء يرسفون بقيودهم الى ساحة الموت ، وفي مقدمتهم فتاة هزيلة سمراء وقفت تستقبل الرصاص بعزيمة ثابتة ورأس مرفوع . انها جميلة احدى الثائرات . . سقطت وهي تهتف كما يهتفون بحياة الجزائر . . » وهذه تحية اجلال لتلك البطولة الفذة . .

ارأيتها والغيد في النعماء ترفـل بالحرير
تمضي تعانق مدفع الرشاش ينطـق بالسعير
وتخوض ميدان الجهاد تردُّ عـادية المغير
تتقدم الشجعان لا ترتاع من هول المصير
سمراء لوحها اقتحام البيد في اليوم العسير ؟

اعرفت مـا معنى البطوله ؟
هي ذي وقد عـبرت سبيله

سمراء . . يا بنت الهضاب الشم في ارض الجزائر
يا شعلة البأس الفتيّ وعزمة الليث المغامر
يا صرخة بعثت كوامن حقدها في كلّ ثائر
يا نفحة من ذكريات المجد احيت كل غابر
يا صارماً يهوى بنور الحقّ يمحو كل فاجر

المجد إن يذكر دليله
لم يعدُ ذكراك يا جميله

دوّى النفير فهز هامات الربى والليل امسى
فتحفّز الابطال كالآساد بل واشدّ بأسا
وتسابقوا نحو المنون كأنما يبغون عرسا
ايجابهوا كالسيل ابنـاء الغواية من فرنسا
ويلقنوهم في معاني نصرة الاوطـان درسا

وعلى شمائهم الطويـله
سارت تواكبهم جميله

يا هولها من ليلة نكراء حالكة السواد
في جنحها المستعمرون تدفقوا من كلّ وادي
فوج تلا فوجاً . . وآخر يقتفيه بلا نفاد
فكأنما حشر العدوّ فلول زاحفة الجراد
وتقدّم النفر القليل . . يخوض ميدان الجهاد

كل مضى يشفي غليـله
وكذلكم فعلت جميله

وتصايح الابطال : هذا يوم من يبغي الشهاده
لا يبلغ الفوزَ امروءٌ . الصبرُ لم يملأ فؤاده
لا ترهبوا من وجه المستعمر الباغي قياده
هيا اروهم كيف يلقى الموت من يحمي بلاده
وهناك دار رحى المنون . . وكلهم اورى زناده

ومضت مع الفئة القليله
تبدي بطولتها جميـله

اسمعت كيف يلاطم الاعصار اكناف الجبال
اعرفت كيف تدفق البركان ينذر بالوبال
ارأيت نجما ثاقباً يهوى الى اقصى مجال
وكذاك انقض الاباة . . عن اليمين . . عن الشمال
يتطلعون الى الشهادة بعد ان صدقوا النضال

ولدى الجراحـات الثقيـله
كانت من الاسرى جميله

يا ايها السجن الرهيب . . أما تحدث عن جديد ؟
اتراك آسيت اللبوءة اذ تصفد بالحديـد ؟
اولم تروعك السياط . . بكفّ شيطانٍ مريد ؟
أهوت على الأحرار لا تنفكُ تتبع بالمزيد ؟
فاستقبلوها في ثبـاتٍ من اباتهم العنيـد

وتهزُ قبضتها الكليله
تتوغـد الباغي جميله

الفجر اقبل . . حيث قد سكن الفضاء الاوسع
ومفاتح السجان تعبث بالحديد فتسمع
ومع القيود تلاحقت فئة تُزج وتدفع
تمضي الى حيث الجنود تحفزوا وتجمعوا
وهناك كان القدر منتظر . . . وكان المصرع

وبقربهم لمحوا جميـله
شمخت بقامتها النحيله

وتواردوا حوض المنية يهتفون ترنمـا
وعلاهم صوت جهير . . شق اعنان السما :
« يا موطنا عبث العدوُ بساحه وتحكما
ها نحن قد ثرنا . . وجاهدنا . . وارخصنا الدما
لنردّ عنك الطامعين فلا يُظلهم الحما »

وبهـذه الروح النبيله
خروا وبينهُمو جميله

يا موكب الاحرار . . لا تنفكُ تتبعه مواكب
ما بين باسلةٍ محاربةٍ . . وبين فتىً محارب
يمضي ويحدو ركبه في نصرة الأوطان واجب
يا موكب الاحرار اقدم لا تروعه العواقب
كم تصنع التاريخ في مغداك وضاء الجوانب

نحمي حمـاك وتنتخي له
وكذاك يحمي الليث غيله

عمان — محمد سليم رشدان

قصة لبنانية

بقلم نجاتي صدقي

اقوى من الوشاية

مهداة الى ولدي سعيد لمناسبة بلوغه الثامنة عشرة

السكنى في ضواحي بيروت الشرقية ممتعة ومريحة . . . فهناك يلتقي السهل والجبل والبحر ... مرج من بيارات البرتقال ، وتلال تطل منها الحدائق الغناء ، وبحر تتمرغ امواجه الهادئة على خليج بيروت الممتد من الميناء حتى بلدة انطلياس .

والمواصلات بين هذه الضاحية وقلب العاصمة متوفرة متعددة ... فمن اراد قطعها بخمس دقائق استقل سيارة صغيرة .. ومن اراد قطعها بربع ساعة استقل سيارة ركاب ... ومن توفر له الوقت واراد النزهة استقل الترام وقطع المسافة بنصف ساعة .

وفي يوم من ايام الخريف كنت استقل الترام في اتجاه البرج ، قلب بيروت النابض ، وقد اخذت مكاني بين ثلاثة من العربان ، يرتدي كل منهم عباءة ، ويغطي راسه بحطة وعقال ، وادركت مستعيناً بحاسة الشم انهم من تجار الاغنام .

وما ان تحركت الحافلة حتى انبرى احدهم وقال لزميله : والآن ارو لنا قصتك يا سعفان ..

فلف سعفان نفسه بالعباءة جيدا ، وجلس شبه متربع على المقعد ، ورفع طرف حطته الايمن وثبته في ثنايا عقاله الايسر ، وراح يروي لزميليه قصته ، يرويها لهما بعينين داميتين ، قال :

.. ذهبت في اوائل ايلول الى مكتب المعلم نبيل ، وكيل استيراد الاغنام من تركيا ، وافدته انني مستعد للسفر على الفور .. فنقدته كالعادة مبلغ عشرة آلاف ليرة لبنانية ، واستلمت منه رسالة موجهة الى عميله في ارضروم يقول له فيها ان يسلمني خمسمائة راس من الاغنام على ان تتم تصفية الحساب فيما بعد .

وقمت برحلتي الشاقة الطويلة ، وتقدر بحوالي الف وثلاثمائة كيلومتر ماراً بحلب ، واضنه ، وقيصرية ، وسيواس ، وارضروم . . وكان علي ان اقابل في ارضروم عميل المعلم نبيل ، السيد كوتشك اوغلو ، فاسلمه الرسالة ، ثم هو يحولني الى عميل له يقيم في بلدة « كارز » التي لا تبعد عن مدينة « لنين كان » السوفياتية سوى خمسين كيلو متراً .

لقد اراد الله ايها الاخوان ان تكون تلك المنطقة مرتعاً لاجود نوع من الاغنام .. فهز زميلاه راسيهما بالموافقة .. وقال احدهما : ان لحمها طري ، ومرغوب فيه عند الشوائين .. وقال الثاني : ومن حليبها تصنع افخر انواع السمن والجبن .. بالاضافة الى صوفها الطويل الشعر .

وتنهد سعفان عميقاً ، وكان الغضب مرتسماً على وجهه بشكل مروع ، وتابع كلامه قائلا : واخيراً وصلت الى ارضروم عند المساء ، وذهبت راساً الى بيت كوتشك اوغلو لاسلمه رسالة المعلم نبيل .. واواصل رحلتي الى كارز في قطار الليل .. وحدث ما لم يكن بالحسبان .. فما ان وقعت عينا كوتشك اوغلو علي حتى فغر فاه ، وشهق شهقة كأن روحه تودع هذه الدنيا ... ثم تالك نفسه وقال بصوت اجش : اوغلم .. الم تصادفك الشرطة ؟

قلت : كلا ، وهل انت في محنة ؟

قال : اعني .. الم توقفك الشرطة انت ؟

قلت : انا ؟ .. وهل لي اسبقيات في الاجرام ؟ .. هذه هي رحلتي العاشرة الى الحدود التركية ، ولم اسرق .. ولم اقتل .. ولم اشترك في شجار او عراك ..

قال : ولكنها شرطة الجيش . . اتفهم ما اقول .. شرطة الجيش الحربي .. وعلى كل .. ادخل .. ادخل ! ..

فدخلت الى البيت وانا لا افقه شيئاً مما يتحدث به كوتشوك اوغلو .. وجلست على المقعد وانا اساله ان يلقي ضوءاً على كلامه الغامض .. قال : اسمع يا سعفان .. شرطة الجيش تبحث عنك ! . .

قلت : ولكنني لا اهرب الحشيش ، ولا السلاح ..

قال : غير ان التهمة الموجهة اليك هي ادهى وامر ..

قلت : تراني اتاجر بالرقيق الابيض ؟ ..

قال : كلا .. انك متهم بالتجسس ! ..

قلت : ماذا ؟ .. ماذا تقول ؟ .. تجسس ؟ ..

قال : نعم .. هناك بلاغ سري ضدك يقول بانك تتجسس لمصلحة الروس ! . .

قلت : ما هذا الكلام يا سيد كوتشوك اوغلو .. اتمازح ؟ ..

قال : الامر خطير جداً .. والتهمة مروعة مهلكة .. فالبلاغ السري يقول انك تستغل مهنة المتاجرة بالاغنام ، وتتصل بالروس عند الحدود بالقرب من « لينين كان » .

قلت : هذه تهمة جنونية .. لن يصدقها احد ... فمن اين جئت بها ؟ ..

قال : ان صهري احسان بك دمرجي ، قائد قوات المنطقة ، اتصل بي وسألني عنك .. وروى لي التهمة الموجهة ضدك .

قلت وقد احسست بالارض تميد بي : ومن هو هذا الخسيس الذي وشى بي ببلاغه الكاذب ؟...

قال : افادني صهري بان البلاغ آت من بيروت .. من رجل اسمه نبيل بحصاوي .

وهنا صعقت وصرخت قائلاً : المعلم



نبيل .. نبيل البحصاوي وجه الي هذه التهمة ؟ ..

قال : نعم .. والآن حذار ان تذهب الى كارز .. فالجيش لك بالمرصاد .. واذا ما قبضوا عليك فسيسومونك العذاب اشكالاً والوانا .. ثم تنتهي حياتك وانت تتلوى تحت السوط .. او برصاصة في رأسك ..

وما ان سمعت حديثه هذا حتى اظلمت الدنيا في ناظري ، وتمنيت في هذه اللحظة ان امسك بعنق المعلم نبيل ، وقلت لزميلي التركي : اخي كوتشوك اوغلو .. هل تصدق انت هذه التهمة ؟..

قال : معاذ الله ..

قلت : لقد قبض مني هذا الواشي الخسيس مبلغ عشرة آلاف ليرة ، وحملني رسالة اليك حتى تأمر عميلك في كارز بأن يسلمني خمسمائة رأس من الغنم .. انه يريد لي الهلاك لكي يضع يده على مالي .. يريد لي الضرب ، والعذاب ، والموت .. يا له من مجرم !..

قال : انه بعث يحذر من وثيقة مزورة تحملها .. ولكن ثق بأنني ادركت هذه اللعبة ، ونبهت صهري اليها .. لقد قلت له بأنك رجل طيب القلب لا تهتم الا بغنمك .. وانك ابعد الناس عن السياسة والجاسوسية .

قلت : والآن ما العمل ؟..

قال : نذهب الآن تواً الى احسان بك ، ونوضح له القضية .. هيا .. هيا تلثم بالحطة لئلا يراك من يعرفك في هذه البلدة .

وتوجهنا معاً الى مقر قيادة المنطقة ، وكانت تعج بالجند وبالضباط من مختلف الرتب ، ودخلنا على احسان بك ..

وهو رجل في العقد الخامس من عمره .. مديد القامة ، احمر الوجه ، عريض الكتفين ، طويل الشاربين .. على خده الأيسر ندبة عميقة هي اثر ضربة سيف .. ولما انتصفنا القاعة اقترب كوتشوك اوغلو من القائد واسر في اذنه كلاماً ما .. فانتفض لأول وهلة ، ثم هدأ روعه ، ونهض من على كرسيه وتقدم مني .

لا ادري ما الذي احسست به في تلك البرهة الرهيبة .. احسست وكان جبلاً ثلجياً يكاد ينهار علي .. او ان سيلاً طاغياً يتقدم مني ليجرفني كما يجرف عوداً يابساً .. فخررت على ركبتي وصحت باكياً : احسان بك .. انني بريء .. والله العظيم بريء .. رحماك ايها القائد .. انني ابعد الناس عن الجاسوسية القذرة .. انني تاجر اغنام ولا اهتم الا بها وبأنواعها .. انني رجل متدين لا اقطع فرضاً ، ولا اغفل عن واجب .. هذه مؤمراة حاكها ضدي الواشي المعلم نبيل ليفوز بمالي .. رحماك ايها القائد الشريف .. ها انا بين يديك ، حقق معي كيفما تشاء .. وكل ما استطيع قوله لك انني بريء براءة الذئب من دم يوسف !..

سار احسان بك في غرفته جيئة وذهابا .. وقد فهم كل ما قلته له .. ثم انهضني عن الارض وقال وهو يعبث بسوطه : سعفان !..

قلت : افندم .. خير الله !..

قال بلهجة عربية تركية : « انا مقتنع تماماً انك رجل بريء .. اذهب الى بيروت الليلة .. كوتشوك اوغلو

وطني

وطـني ! لا (الجناح) تعطي ، ولا … (الموت).. وتسخو عليّ.. ايّ سخاء!
كل عمري نثرتـه تحت اظلالـك … اهفـو وراء كل ضيـاء
آه مـاذا قنصتُ ؟ قبضة غيم : … ليس تروي سنابـلًا من رجائي !
اجتوي الجوع في ثراك . وأسقى … من جرار السراب لا الصهبـاء
وأغني : لـكي اخدر وهمي .. … فأغـانيّ سـلوتي وعـزائي !
اين ؟ لا اين .. ما احب : فقـد … خان شبابي ، وخان عهد وفـائي
اين ؟ لا اين .. مـا نسجت على … نول غـدي من مواسمٍ عذراء
اين ؟ لا اين .. ما اختزنتـه في … سرّي ، وسلسلتُـه احبّ غناء
انا من ذا انا ؟ سؤال عميـق .. … يتولى الجـوابَ عنـه إبائي !

وطني ! افتح (الكوى).. في صميمي … (طـائر) يبتغي مراقي السماء !!

حلب

علي الزيبق
من « الاصدقاء »

يذهب معك حتى حدود .. ايه .. لو كنت رحت الى كارز .. كان هناك عذاب .. عـذاب شديد .. ولكن رحمت .. الله رحمت.. هايده كيت!».

وعدت الى بيروت وكأني قذيفـة مدفع ، واندفعت على التو الى مكتب المعلم نبيل ، فلم اقرع الباب كعادتي ، وانما ضربته بقدمي فانفتح على مصراعيه، ورأيت الواشي يجلس وراء مكتبه وهو يتطلع إليّ من تحت نظارته مشدوهاً.. ثم اقفلت البـاب من الداخـل واتجهت اليه بخطوات وئيدة .. وكأنني اسير في نومي .. ولما اقتربت منه كثيراً ورأى لهيب جهنم في ناظري نهض عن كرسيه وقال : من انت .. ومـاذا تريد ؟ ..

قلت له : هات العشرة آلاف ليرة ايها الخسيس ! ..

قال : انني لا اعرفك.. اخرج!..

قلت : اتتهمني بالجاسوسية ايهـا اللص .. اتريد هلاكي ايها الوغد ؟ .. اعد لي مالي حالاً !..

قال : انني لم استلم منـك قرشاً واحداً.. اخرج وإلا طلبت النجدة!..

فانقضضت عليـه وأمسكت في خناقه وقلت له : انني لا املك في هذه الدنيا سوى العشرة آلاف ليرة .. هي رأسمالي الوحيد.. اتعيدها لي ام لا ؟..

قال وهو يرتجف مثل السمكة العالقة بالصنارة : مالك عندي.. اعيده لك .. اعيده .

وفتح الخزانة واخرج منها المبلغ وهو في غلافه كما سلمته له .. ودفعـه لي .. فوضعتـه في صدارتي ، ورمقت هذا الواشي بنظرة كلها ازدراء وبصقت عليه .. وخرجت .

وحين بلغ سعفان هذه النهـاية ، كان قاطع التذاكر ينادي بأعلى صوته : البرج .. البرج .. الترام لا يقف عند « الكابيتول » ..

نجاتي صدقي

الجدار المتصدع

أبصرتُهُ بيد البلى ... متصدعاً يتهدمُ
فشهدتُ مأساة الحياة ... حياله تتكلم
وقرأت من سير الزمان ... به صحائف تؤلم
ورأيت كيف روايةُ ... الأعمار كانت تختم
ألوى الزمان بأمسه ... وعداه خطب مظلم
فتماسكت مذعورةً ... أحجاره تتبرم
سئمت مقارعة الردى ... فاستسلمت تتظلم
حجر يئن وآخر ... بهمومه متلعثم
وأطلَّ من شعفاته ... شبح الردى يتبسم
والصمت أطبق مغمضاً ... جفناً وأغفى يحلم

لم تبق فيه يد البلى ... من شامخ يتثلّم
راحتْ تشل يد الدمار ... بصرحه وتحطم
حتى اذا تعب الخراب ... وضاق مما يهدم
قامت به الاشباح ... ترتع في حماه وتنعم

أبصرته والليل يومىء ... والرياح تغمغم
وعليه مما حاكتِ ... الأشجان ثوب معلم
وبصدره كالجرح صدع ... باللواعج مفعم
انْ رام افصاحاً بما ... يشجيه أعوزه الفم
لكنَّ شاهد حاله ... للسائلين يترجم

اني ذكرت به الصبا ... بيد البلى يتصرم
وذكرت صدركِ بالاسى ... متصدعاً يتثلّم
فعطفتُ من شغفٍ عليه ... أبثه ما اكتم
فحسبت أحجار الجدار ... رنت اليَّ تسلم

كم قصةٍ في صدره ... مخبوءةٍ لا تُعلم
نطقت حجارته بها ... لما هوتْ تتحطم

دمشق ... عدنان مردم بك

بقلم روبرت اوبنهايمر

العلوم والفنون وما يكتنفها من احتمالات طالعة

ترجمة يوسف اسعد داغر

تسع كلمة « احتمالات العلوم والفنون » في نظري ، لمعنيين مختلفين الاختلاف كله. فقد تعني لي حيناً ، التنبؤ بمعنى ما عساه ان يكشف عنه العالم او تطلع به ريشة الرسام ، وما هي الصور والصيغ التي ستطلع على دنيا الموسيقى ، وما الذي يؤول اليه الاختبار ، من وضع محيز ، راهن ، جديد ؟ ... اما المعنى المضمر وراء هذا التعبير ، فمشهد او منظر ، بمعنى ما عسى ان تقع عليه العين عندما ننظر الى العالم ، ونقارن بين ما هو عليه اليوم وبين ما كان عليه في امس الغابر ؟ فانا لست بنبي ، ويعجزني بالتالي ، ان اتكلم كنبي ، اي في الوضع الاول كما حددناه ، مع ان هنالك ما يحفزني على الاخذ به من عدة وجوه . ولهذا لن اتحدث الا في الوجه الثاني ، وساقصر حديثي عليه لما له من جدير الاهتمام ، وهي مشاهد ومناظر لها من الجدة والتأثير ما يجعل من المفيد جداً ان نجتليها عن كثب وننعم فيها النظر ، ونتفرسها ملياً . وقد يساعدنا هذا الاجتلاء على تحييز مستقبل افضل وصوغه على شكل وطابع امثل ، بالرغم مما نأنس في انفسنا من عجز على الاستشراف بوضوح ، لجميع مقوماته وقسماته .

من دواعي الغبطة ان تولي العلوم والفنون صاحبها شيئاً من ملكة التنبؤ ، اذ ليس اوقع في النفس ولا ابعث على الرضى والارتياح من ان يستشرف الانسان المستقبل . فكّرت حيناً ، في مجال اختصاصي ، اي في حقل الفيزياء ، والعلوم الطبيعية الاخرى القريبة منها . ليس من الصعب ان استعرض هنا القضايا التي يستأثر اليوم باهتمام علماء الطبيعة او تلك التي يحاولون حلها .

فنحن الفيزيائيين ، في تدبرنا المادة ومعالجتنا لها ، انما نعنى في الدرجة الاولى ، بطبيعة هذه المادة متسائلين ما هي ، وما هو قوامها ، وكيف تتصرف عندما تتخثر ذراتها وتدق نواتها تحت عوامل الافتعال حتى اذا ما اعتصرتها القوة وفلقتها ، اطلقت تلك المادة ، الطاقة الجبارة التي تختزنها ؟ اما الكيميائي فيتساءل ما هي خصائص البروتين التي تمكن للحياة وتوليها ما تتميز به من قوة الاحتمال والتحول والتغير ، وما هو سر هذه الكيمياء الدهماء الداهية ، وما هي هذه الاوضاع ، والتفاعلات والمؤثرات التي تجعل حجيرات الكائنات الحية وخلاياها ، تتنوع بعضاً عن بعض ، وتتباين شكلاً ، ووظيفةً ، وقواماً ، بحيث تستطيع القيام بوظائف مدهشة ، مربكة ، محيرة ، كنقل النواهي والمعلومات ، وشتى الاحاسيس والمشاعر ، عبر الجملة العصبية او تطلع الشعر من مخيلة الانسان وقريحته ؟ فما هذا الذي يجعل دماغ الانسان يختزن انطباعاتنا الماضية ويحتفظ بذكرياتنا بمنجاة من الوعي ليعيدها من جديد ويبعثها من هجعتها الطويلة ؟ وما عسى ان تكون هذه الخصائص والسمات الطبيعية التي تثير الوعي في الانسان وتبعث فيه الحياة والنشاط ؟

والتاريخ نفسه شاهد صادق على ان هذه القضايا التي نعتبرها اليوم قضايا الساعة او القضايا الملهبة ، ستتغير وتستحيل غيرها قبل ان نجد لها مخرجاً او حلاً مرتجى ، وان طريقة الكشف التي نعتمدها اليوم وننهجها ، من شأنها ان تخلخل الافكار والصور نفسها التي نصطلح على استعمالها في وصف ما يعترينا من حيرة وارتباك .

صحيح هنالك من يدعي ان ما نرى من مقومات الحضارة وعوامل الثقافة ، اي ما ابتدعته مادة العلوم والفنون نفسها ، ليس سوى مظهر بارز من مظاهر التفاعل التاريخي المستمر ، او نتيجة محتومة لنواميس تتحكم بمجرى الحضارة (حتمية التاريخ المادية) توليها نوعاً من التطور القسري الملتزم . فهم يرون مثلاً ، في هذه التجربة الاساسية الاصيلة التي مرت بها

الموسيقى في نصف القرن الذي انقضى وميزتها ، نتيجة حتمية لازدهار العلوم الطبيعية وتألقها . كذلك يرون في ظاهرة انبعاث الفن الموسيقي الذي تقدم ازدهار فنون الرسم والشعر ، نظاماً محتوماً جاء شبيهاً بما وقع من امثاله في الحضارات السابقة . فهم يردون التجربة التي مرت بها الفنون ، الى انحلال السلطة المدنية والسياسية ، في المجتمع الصناعي والتكني ، والتفسخ الذي اصيبت به سلطة الكنيسة الكاثوليكية . فيأخذون بالتنبؤ عن المستقبل وبأيديهم مثل هذا السلاح . اما انا ، فاخشى كثيراً الا اتعرض لهذا كله ، لخروجه عن موضوع بحثي .

فاذا لم تكن « الاحتمالات » تنبؤاً ، فلا اقل من ان تكون مشهداً او منظراً . فما الذي عليه عالم الفنون والعلوم اليوم ؟ فللنظر الى هذا العالم طريقتان : اولها طريقة المسافر سائراً على قدميه او ممتطياً صهوة جواده ، فيمر بالقرى والمدن ويتوقف فيها هنيهة ليتكلم مع الاهلين وليجمع معلومات منهم عن واقع الحياة فيها . وهذه النظرة هي نظرة ذاتية ، مجتزأة ، محدودة بحدود الحياة نفسها وبما يتوفر في المسافر ، من نشاط وفضول ، انما هي نظرة انسانية من الداخل . اما الطريقة الثانية ، ففي هذا المنظر الشامل ، الرحب ، الفسيح ، الذي تبدو معه الارض بمعالمها الكبرى من جبال ووديان ، ووهاد وحقول ومدن ، كما تبرز هذه الاشياء جميعها في صورة تؤخذ من اعالي الجو . وهذا المشهد هو ، في بعض وجوهه ، اكمل من الاول واتم ، اذ يرى فيه الرائي ، الواقع – واقع المعرفة – بنواحيه المختلفة ، ويرى ذاك ، الفنون كلها ، كما يراها غيره جزءاً من مجموع حياة الانسان على الارض بما فيها من امداء وتشعبات معقدة . انما لا بد ان يفوت المرء اشياء كثيرة من مقومات جمال الحياة البشرية ودفئها مما لا يمكن لمعالمه ان تبرز في مثل هذه الصورة .

وفي هذه الصورة المأخوذة من الاعالي ، يرى المرء هذه المعالم وهذه السمات العديدة ، المدهشة ، الكبرى التي تميز هذا العصر . فتبدو امامه لوائح العلوم وقوائم المبرات والمؤسسات والمختبرات وهذا الفيض العارم من الكتب التي تلفظها المطابع . ومنها تتبين كيف ان الناس يقبلون بازدياد ، اكثر من كل وقت مضى ، على مدارسة العلوم ، وينصرفون بكليتهم للبحث والتحقيق والتتبع ، وكيف ان الاتحاد السوفياتي والعالم الغربي على السواء ، آخذان في اعداد العلماء وتخريجهم وتدريبهم ، وان انكلترا تنشر من الكتب بالنسبة للفرد الواحد اكثر مما تنشره الولايات المتحدة الاميركية ، وكيف ان العلوم الاجتماعية تحرث بنشاط في كل من انكلترا واميركا وسكندينافيا ، وكيف ان هنالك اليوم من الناس من يقبلون على كبار الموسيقيين الذين برزوا في العصور الماضية ، وكيف ان المزيد من القطع الموسيقية تلحن اليوم كما ان المزيد من الرسوم الفنية توضع باستمرار . ومن هذا المشهد الشامل نعرف ان الفنون والعلوم هي في ازدهار عظيم . وهذه الخريطة الضخمة التي تبرز معالم العالم من بعيد ، لرجل كانه عنه غريب ، ترينا اكثر من ذلك . فهي تعطينا فكرة صادقة عن التباين الصارخ بين الحضارة والحياة ، هذا التباين في المكان والعرف الذي يبدو ، لاول مرة ، على مثل هذا الوضوح والجلاء ، وعلى اساس عالمي واسع ، هذا التباين في الفن واللغة والتعبير يباعد بين العلم والعلم ، وبين الفن والفن ، وبين الفروع الواحدة والاجزاء الواحدة من كل قائم . وهذه الخريطة الفسيحة التي تتسع للعالم كله كما تتسع لكل الثقافات ، تكشف لنا عن معالم غريبة يبدو معها العديد من القرى والدساكر . وهذه القرى والدساكر التي تبدو لك من علٍ ، لا ترى ما يشدها بعضاً الى بعض من المسالك . وبين الفينة والفينة ، تجتاز القرية واحياناً تخترقها ، طرقات عريضة تمور جنباتها بحركة ناشطة من النقل والسيارات تنهب الارض نهباً . ويبدو ان هذه الطرقات الكبرى قلما تتصل بالقرى والدساكر ، فهي تبرز في كل محل ، وتبتدىء من كل نقطة ، وتنتهي الى كل مكان ، وقد يبدو احياناً كانما المقصود منها إثارة الضوضاء حول المدينة . وهذا المشهد لا ينمي فينا اي احساس بالنظام ولا يبعث فينا اي شعور بالوحدة . وفي هذا السبيل علينا ان نهبط هذه القرى ، ونجوب ساحاتها الهادئة ، العارمة النشاط ، كما علينا ان نهبط المختبرات ونزور الستوديهات . علينا ان نترسم الممرات والمسالك التي اوشكت معالمها تعفو وتزول . علينا ان نتبين هذه الطرقات الكبرى وما يكمن فيها من مزالق ومخاطر .

فالعلوم الطبيعية كان لها وسيكون دوماً لها ، ايامها الغر البيض . فالاكتشافات جاءت تتعاقب ممسكة بعضها برقاب البعض الآخر ، وفي كل منها حل لقضية ، ومثار لاخرى ، فكأن

الواحد منها، في الحين الذي يضع حداً لبحث او يفتي في امر، يضع في يد رجال البحث عدة جديدة تمكنهم من المضي الى الامام. فقد طلعت مناهج للتفكير العقلاني لا قِبَل للعقول العادية بها مع انها متصلة بها منذ عشرات السنين والاجيال البعيدة الغور، الموغلة في التخصص. هنالك ادلة قاطعة على فقر التجربة الانسانية والاختبار البشري في كل ما يتعلق بالظواهر الطبيعية على اختلاف وجوهها. كما ان الدلائل والقرائن كثيرة هي الاخرى، على جهل الانسان للانسان وعدم تفهمه له. كل اكتشاف جديد يطلع علينا يزيد من عدة البحث في يد العالم ويدفعه للمضي قدماً في بحثه كما يشجعه على الايغال في مجالات الكشف. ان تحقيق المزيد من المعرفة يعود بالفائدة على التقنيّة والفنون العلمية، وهذه بدورها تتمّ ذرائع فنية جديدة، وتفضي الى امكانيات جديدة في حقلي الملاحظة والتجربة البشرية.

في كل علم من العلوم نشهد اليوم تعاوناً بين جميع الناهضين به. قد يعمل احدهم منفرداً مستقلاً، محاولاً ان يستفيد عن طريق المطالعة والمكاشفة، بما يقوم به زملاؤه. وقد يعمل مشاركاً فريقاً من رجال البحث في بحث قضايا، قد يصعب على فرد واحد ان يؤمن لوحده، الاجهزة التي تساعد على حلها. وسواء اكان هذا العالم منفرداً في عمله او مشاركاً لفريق من الزملاء في عمل مشترك، فهو باعتباره فنياً، عضو في هيأة اجتماعية. فزملاؤه او رصفاؤه في العلم الذي يخدم، يباركون له كل اقتراح او فكرة جديدة خلاقة يبديها امامهم كما يرحبون من الصميم، بكل نقد او نظر يتقدم به اليهم. فكل كلمة يتفوه بها وكل عمل يأتيه لا يلبث ان ينتقل لزملائه، وسيكون واثقاً من ان كل سهو او غلط يقع منه لن يلبث ان يكشف عنه ويعلن مها يكن مساق عمله والنهج الذي ينهج، فهو يعيش لمجتمع، اياً كان، يجمع بين الفهم المشترك والقصد المشترك والمصلحة المشتركة التي تشد الناس بعضاً الى بعض احراراً متضامنين متضافرين.

وهذه التجربة ستجعله يحس تماماً كم هي محدودة، وكم هي ناقصة، وكم هي ثمينة الظروف التي تلابس حياته، اذ ان الروابط التي تشده الى مجتمع اوسع لن تجعله يشعر بما بينه وبين مجتمعه من آصرة ورابطة، ولا يوقظ فيه تفهماً موضوعياً. وسيشعر من وقت لآخر، نتيجة لبعض الاشغال العملية التي يقوم بها، بآصرة الرابطة الاجتماعية التي تشده الى اناس ليس لهم اي اختصاص، او اي انقطاع للعلم الذي يحرث، او الى غيرهم من العلماء الذين يبعد مجال اختصاصهم بعداً شاسعاً عن مجال اختصاصه هو، او غيرهم من رجال عمل او رجال فن. للعلوم اليوم، حدود ومفارقات هي حصيلة بضع سنين من الدرس والبحث والتتبع القصي، تجعل العلم الواحد يتباين عن الآخر ويتميز عنه بجملة من الاوضاع، والمصطلحات، والاساليب والذرائع، والتكنولوجيا، والموضوعات التي خلفها هذا التراث المشترك لمجتمع حضاري تقدمي. فكل من عمل عند طرف من اطراف هذه العلوم او عند حدودها، لا بد ان يجد نفسه بعيداً جداً عن باحة العلم الذي ينشد وبؤرة اختصاصه. فهو الى حد ما، لو صح التعبير، بعيد عن منزله وعن هذه الفنون التطبيقية التي كانت مناط هذه المدنية ومبعثها.

ان التخصص في العلم هو اليوم ضرورة لازمة يقتضيها التطور والرقي ومع ذلك فهو امر محفوف بالمخاطر كما انه مضيعة ومقتلة لامور كثيرة اذ ان عوامل كثيرة جميلة ومثيرة تنتفي من معظم هذا الوجود. وهكذا فمن صميم الدور الذي يقوم به الاختصاصي بالذات ليس فقط يجد حقائق جديدة يتقاسمها مع زملائه ورصفائه، بل يعلن انه يحاول بان يحمل لمن يرغب، اصفى ما حققه العلم واشرف ما توصل اليه. هذا سبب من الاسباب العديدة — السبب الراهن المقنع — الذي لاجله نرى العلماء ينتسبون على الغالب للجامعات. وهذا السبب نفسه يفسر لنا لماذا رعاية العلم ومناصرته، انما تجيء على الغالب، عن طريق الجامعة وتتم بواسطتها، اذ انه هناك، في موطن التعليم الجامعي، في مشاركة العلماء ومساهمتهم، وفي مثل هذا الجو العابق بصداقات الاساتذة والطلبة، باناس هم معلمون وطلاب بمقتضى حرفتهم ونهج حياتهم، يمكن التخفيف من مضايقات الحياة العلمية، على احسن وجه.

في وضع الفنان اليوم من المفارقات والاختلافات ما يتعارض ووضع رجل العلم، الا انها اختلافات من اشد ما يمكن ان ينشأ من مثلها فتثير مشاكل تتصل بالكثير من مساوىء مجتمعنا. فلا يكفي الفنان ان يتصل بالآخرين الذين يشاركونه الاختصاص بفنه. فهذا التزامل، وهذا التفاهم الذي يجمع بينهما، وهذا التقدم المتبادل، قد يكون له فيه

تشجيع وتنشيط . ولكن ليس هذا كل ما يهدف اليه عمله ، ولا كل ما في طبيعة عمله . فالفنان يعتمد على تحسس مشترك للثقافة ومظاهر الحضارة وعلى ما لها من رموز مشتركة ، وعلى مشاركة في الاختبارات الواحدة والوسائل الواحدة المستخدمة في الوصف والتفسير والتعليق . فهو لا يحتاج ان يكتب لكل فرد ، كما لا يحتاج ان يرسم او يمثل لكل واحد بمفرده . فالمستمعون الذين يتجه اليهم هم الانسان ، كل الانسان ـ الانسان في مطلقه ـ وليس مجموعاً من الخبراء الاخصائيين من زملاء له في المهنة والحرفة . فالامر صعب التحقيق شاق ، اذ كثيراً ما يلازم الانسان شعور ممض بالفراغ والعزلة التي ينقطع اليها ، اذ ان المجتمع الذي يخاطبه او يتوجه اليه ، غائب عن المكان او المجال الذي يجب ان يكون فيه . فهذه الاعراف ، وهذه الثقافة ، وهذه الرموز التاريخية التي يستوحيها ، وهذه الاساطير والاختبارات المشتركة التي من صميم عمله ان يزينها ويرسمها ويلائم بينها ، كل ذلك قد تبخر وتطاير في هذا العالم المتبدل باستمرار .

هنالك ، وايم الحق ، مجلس نظارة مفتعل بقي قائماً يستطيع ان يوفق بين الفنان والعالم الذي يعمل له ويجهد من اجله ، هو مجلس النقاد الفنيين والقائمين باسباب الدعاية للفن ، المعلنين عنه ، المذيعين له . ومع ذلك فالناقد الفني ، بعكس القائم بالدعاية للعلم ، يقوم بوظيفة ويؤدي عملاً مطلوباً اليه تأديته في الزمان والمكان ، ويضفي بعض النظام وبعض التواصل والترابط بين الفنان والعالم الخارجي ، الا انه اعجز من ان يستطيع زيادة شيء على الذاتية ، وعلى العمق والتجاوب هـذه العوامل التي يتجه بها الى بني جنسه .

وهذه الوحدة التي تغمر الفنان والفراغ الذي يجد نفسه ضمنه ، يبعث في نفسه ، نتيجة محتومة لهذا الوضع ، عقماً خطيراً مرعباً في حياة الناس . فهم يرون انفسهم محرمين من هذه الاشراقة ، وهذا النور ، وهذا الحنان ، وهذه المشاهدة القائمة على تفسير منطقي مفهوم ، وفقاً لمصطلحات العصر ، هذه الافراح والاستهجانات ، وهذه الافراح والمجون التي تفتر عنها حياة الانسان اليوم . قـد تكون هذه الامور بطلت اليوم بفضل التطور العظيم الذي حققته الوسائل الفنية الحديثة لتجعل من الاجيال الماضية عظة وعبرة . ولكن في هذه الاشياء دليل على العلاقات والروابط الصحيحة التي تشد الفن



الأديب

★

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدماً وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة
للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.
في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها
في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات

اشتراك الانصار :

في لبنان وسوريا : ٢٥ ليرة كحد ادنى
في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولاراً كحد ادنى

★

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلة

★

تليفون : الادارة ٢٣٨١٩ Direc : 23819 Tél.
المنزل ٢٥١٣٩ Dle : 25139

★

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : البير اديب

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

الى الحياة . اما اذا طبقت هذه الاشياء على الكتابة والتصوير والتأليف والموسيقى والتلحين، فهي اعجز من ان تسد الهوة القائمة بين مجتمع رحب فسيح ، كثير المفاسد والمساوىء ، وبين الفنان الذي يحاول ان يضفي على هذه الاشياء ، شيئا من الجمالية والمعنى .

يمكن ان نعتبر الى حد بعيد ، ان عالمنـــا اليوم هو عالم جديد او مستجد ، لحق ما فيه من وحدة المعرفة ، وطبيعة المجتمعات البشرية ، والنظـام الاجتماعي الذي هو عليه ، وتسلسل الافكار المسلم بها والنظريات السياسية التي ينهض عليها المجتمع والحضارة والثقافة ، تغييرات وتحولات تجعل من الصعب ان تعود هذه المقولات الى المفهوم الذي كان لها في الماضي . وهذه الجدة في الجديد الذي طلع علينا لا تعني قط ان شيئاً من عناصر هذا الجديد كان غير معروف من قبل ، بل انـه تغيير طرأ على الحجم او الكم . والشيء الجديد الحقيقي يقوم في شيوع الجدة ، وشمولها ، وتحكمها ، وفي درجة التغير ، وهدف التحول نفسه ، بحيث ان العالم يتغير ويتحول ويلبس زيـاً جديداً في ذات اللحظة التي تمر بنا ونحن عليه بحيث ان السنين التي عاشها الانسان هي مقياس ليس لهذا النمو ، او التحول الطفيف لهذا الشكل او القالب ، او تعديل لمـا تلقفناه في عهد الطفولة فحسب ، بل ايضاً تغير وتحول في هذا الجيشان العظيم الذي وقع . وهذا الجديد انما يعني ان في جيل واحد زادت معرفتنا للطبيعة ولاسرارها ، على كل ما كان لدينا منها من قبل ، لا بـــل انقلبت معارفنا ظهراً لبطن ، ورأساً على عقب وبلغت درجة من الكمال والاتقان لم تكن قط في الحسبان . وهذه الذرائع والوسائل الفنية التي بها نحيى وننمو ونتكاثر ، هي التي ربطت اقاصي الارض بدوانيها بالرغم مما تقيمه النظم السياسية من حدود وسدود ممثـلة في إثارة الاعصاب والحرب الباردة . وهكذا نرى ان الصفاتية التي تلابس الارض اليوم ، كلها جديدة : من معرفتنـا للشعوب البعيدة المختلفة واهتمامنا بها ، وارتباطنا معها باشكال وصور عملية ، وتعاوننا معها باعتبارنا اعضاء في اسرة واخوة واحدة. والجديد في عالمنا اليوم ، هو مـــا نراه عليه من سمات تحلل السلطة وتخلخلها، في كل من العقائد والمناسك والنظام المدني. ومع ذلك ، فهذا هو بعينه العالم الذي جئنا لنعيش فيه . وهذه الصعاب التي تتربص بنا الدوائر ، سببها التقدم الذي حققناه في ادراكنا ومدراكنا ، ومهاراتنا وقوانا ، وسلطاننـــا . عبثاً نشجب وننحو باللائمة على التغييرات التي باعدت بيننا وبين الماضي واقتلعتنا من التربة والبيئة التي عشنا فيهـا ، لا بل من الاثم ان نفعل ذلك . فكل ما نحتاج اليه هو ان نعترف بهذا التحول والتغير ، ونسلم بالامر الواقع ، والوضع الراهن ، وندرك جيداً ما تهيأ لنا من موارد ومصادر هي تحت تصرفنا وطوع رغبتنا .

ساحـاول من جديد ، العودة بالفكر الى المدارس والغاية التي تهدف لها : إملاء الجامعات . فقضية العالم ، من هذه النـاحية ، لا تختلف كثيراً عن قضية الفنان ولا عن قضية المؤرخ . فهم بحاجة ليكونوا جزءاً من مجتمعهم . وهذا المجتمع يستطيع ان يستغني ، ولو تعرض للخسارة وللخطر ، عن هؤلاء جميعاً ويعيش بدونهم . وهكذا نشاهد بكثير من الاهتمام والامل في آن واحد ، ازدياد الاعتقاد بان الفنان المبدع الخلاق هو منزع الجـامعة بالذات ، وان الجامعة والمحيط الجامعي ، هما موطنه الصميم ، اذ ان الملحن والموسيقي والشاعر ، والكاتب المسرحي والرسام ، كل هؤلاء ومن اليهم ، يشعرون شديداً بحاجتهم الى التسامح والتغاضي والتفاهم . وبهذه الرعاية المحلية والنصرة الموضعية التي تعرف الجامعـة ان تؤمنها لهم ، وقاية لهم من اسر ضواغط الانسان والترقية المسلكية . فهنا تتبدى للفنان الذي ترتقص امامه الرؤى الجمالية ، الفرص المؤاتية لتحيزها في المجتمع والترسيخ لهـا في مطاويه ، كما ان باستطاعته ان يطبع صلاته بجماته ونصرائه ، بطابع الألفـة والمودة الخالصة ، وبهذه الروابط البشرية المشتركة بين النـاس . فالجامعة هي الوسط اللازم والمحيط الموصوف الذي يستطيع الفنـان معه ان يفرغ قوالب وصيغاً جديدة ، حيث ملابسات الصداقة ومواضعاتها، والمشاركة تساعد الانسان على ان يتطلع الى جوانب من العلم جهلها من قبل ، والى وجوه من حياة الانسان بعيدة ، تبدو لسطحيي النظر ، متعارضة ، متدافعة ، متنابذة، مع انها تجد في الانسان انسجامها التام وتحيزها الاكمل .

تلك هي ، بصورة تقريبية عامة ، الاشياء التي نراها ونحن نسير بين قرى الفنون والعلوم ، ونتبين كم هي ضيقة المسالك التي تربط بين الواحدة منها والاخرى ، وكم هو ضيق ، تفهم الانسان لعمل هذه القرى ، ومحدود مدى تأثير هذه القرى

في الخارج .

هذه الطرقات العصرية الكبرى لا تساعد كثيراً . فهي عبارة عن وسائل التأثير على الجماهير ممثلة في هؤلاء الصارخين عالياً في متاهات آسيا الصغرى ومدن الصين ، او في مسارح برودواي الفنية . فهي ناقلة الفن والعلم والثقافة للملايين بعد الملايين ، والمتعهد الذي يحمل للبشرية العلـــوم والفنون او الذي يقدم البشرية للعلوم والفنون ، هي الوسائل التي تعيد الى اذهاننا ذكرى المجاعة الفاشية في البقاع البعيدة او تلك التي تزرع فيها الحرب والقلاقـــل والاضطرابات او تحدث فيها التغييرات القائمة عليها ، هذه الوسائل التي بها تذيب كرتنا الارضية الكبرى والشعوب التي تدب عليها في وحدة تامة بحيث يتعارفون ويتقاربون بعضهم من بعض ، هذه الوسائل التي تحدثنا عن اخبار الكشوف العلمية ، وحديث المجد والفخار والشرف والرحلات والاغاني التي تتجاوب اصداؤها في جميع ارجاء العالم . وهذه الوسائل هي نفسها الذرائع التي تستخدمها البشرية الصحيحة الحقة ، والانسان الذي يفهم حقيقة اخيه الانسان ، والجار الذي يدرك حاجات جاره ، والتلميذ في المدرسة يحفظ قصيدة عصماء ، والمرأة الراقصـــة والفضول الفردي ، والشعور الفردي بالجمـــال والتحسس به . كلها مما يتناثر هباءً منثوراً ويتطاير كالبرق الخلب ، هذه الوسائل نفسها التي بها تبرز ، سلبية الرجل الخلي لرجل العلم والفن ، وجه همجية الانسان الكالح .

والحقيقة التي لا بد من التوقف عندها والتسليم بشيوعها وانتشارها ، هي ان هذا العالم انما هو عالم اساسه الاصطفاء ويقوم على الانتقاء . نحن نعرف جيداً ما يعرفه كل واحد معرفة تامة هو اننا نعيش متباعدين متنابذين بحيث نحيا حياة رجل فرد واحد . فقصصنا واعرافنا ، هذه الاشياء التي تعبر عن واقع الحياة ، هي في الآن ذاته روابط تشدّ ، وحواجز تصد . فالمعرفة المشتركة تباعد بيننا كما تقرب ايضاً والانظمة الواحدة السائدة فيما بيننا تفت من عضدنا كما انها توحد بيننا ، وهذا الفن الذي نتقاسمه يضمنا بعضاً الى بعض كما يفرّق بيننا ويباعد . ان الفنان لفي عزلة قاتلة ، والباحث لفي يأس مميت والعالم لفي غمة خانقة ، لانه لم يعد بين الناس من يزعج نفسه بعد الآن ، بتعلم ما يستطيع تلقينه . كل هذه سمات واعراض غير طبيعية ، في عصر التقلبات ، هذا العصر الذي فيه نحيي ونعيش.

وعلة ذلك وسببه هو ان ما يطلب الينا ليس بالامر الهين اليسير . ان رحابة هـذا العالم تستمد صفتها المميزة من تعذر نقض معطيات العلـم . فالذي تعلمناه اصبح قسماً من تراثنا البشري . فلن نستطيع ان نصم آذاننا ونطبق عيوننا دون الاختراعات بحيث لا تبلغ الينا الاصوات المتصاعدة من بعيد او الجلبة التي يثيرها اشخاص غرباء ، وثقافات الشرق الكبرى لا يمكن ان يقف منـــا حائلاً دونها ، هذه البحار المترامية الاطراف الفسيحة الجنبات التي تفصلنا عنها ، ولا امتناع التفاهم الذي يغذيه الجهل والجهالة . كما ان نصفتنا للعلم الذي نحرث وكرامتنا كبشر لا يسمحان لنا بذلك . في هذا العالم الرحب الفسيح ، كل انسان يستطيع ان يطمع في العلم وينصرف للاخذ به .

وهذا الامر ليس بمشكلة مستجدة . فقد كان دوماً امام الانسان من ضروب المعرفة ما لا قبل له قط على الاخذ بجميع اطرافها ، كما كان امامه من نوازع الاستشعار ودوافع التحسس ما لا يمكن ان يحرك القلوب على نهج واحد ونسق واحد . ومع ذلك لم يسبق قبل اليوم لهذا التنوع ، ولهـذا التشعب ، ولهـــذا الخصب ، والوفر ، ان تحدى بمثل هذه الشدة ، وبمثل هذه الصراحة ، عملية التبسيط ، وفعل هـذه السلسلة المتماسكة الحلقات من السلطات المتنوعة . ولم يسبق لنا قط ان فرض علينا بان نواجه مثل هذا التناقض الذي تسببه مذاهب الحياة المتشعبة ، وان يفرض علينا الاختيار بينها والانتقاء منها بما نتعم به من حرية الاختيـــار . ولم يسبق ، قبل اليوم ، ان تتناقض نزاهـة الفن الحقيقي المبسط الصميم ، وتجرد المهنة ؛ والحفاظ على المألوف المتعارف ، والمـــاجن ، والجميـــل ، على مثل هذا الشكـــل ، مع رحابة الحيـــاة وسعة الكرة الارضية ، وتباين النـاس ، واختلاف المذاهب ، وهذا الظلام الذي يكتنفنا من جميع الاطراف .

نحن في عالم يعرف كل واحد منا الحدود التي لا يمكن له ان يتعداها ويفقه جيـداً مساوىء السطحية واهوال التعب والضنك ، ولذا يتحتم علينا ان نستمسك بمـــا حولنا ، بما نعرف — وبما نستطيع عمله ، باصدقائنا وبتقاليدنا وبصداقاتنا ، وإلا اصبحنا عرضة الانحلال والميعان في هـذا المصطرع العام حيث من لا يعرف ، ومن لا يحب . وفي الحين ذاته ، يمتنع علينا ان نجد في هـذا العالم وصفةً قدسية او شبحاً عاماً لاي

مظهر من مظاهر الجهل وعدم الحساسية واللامبالاة . فاذا ما جاء احد الاصدقاء يروي لنا قصة كشف واختراع ، قد لا نتبينه ولا ان نصغي اليه دون ان ننتقص من هذا الكشف الذي يهمنا في الدرجة الاولى او يتصل بنا في الصميم ، الا اننا لا نستطيع ان نجد، في كتاب مطبوع او في قانون مسموع — كما يجب الا نسعى الى ذلك قط — اسباباً او دوافع تقول بتقديس الجهل . فاذا ما جاءنا احدهم يقول انه ينظر الى الامور نظرة مغايرة لنظراتنا اليها ، او انه يجد جميلاً ما نراه قبيحاً ، تحتم علينا ان نغادر الغرفة لما سيسببه هذا التباين لنا من تعب رأس ومشقة ، ففي مثل هذا التصرف شاهد على ما نعانيه من ضعف وعلى ما فينا من نقص . فاذا ما كتب علينا ان نعيش في مثل هذا الشعور الدائم ان العالم ومن عليه من الناس هو فوقنا عظمة ، وفوق ما نستحق ، ليكن اعترافنا بذلك واقرارنا له مقياساً لفضيلتنا . قبل كل شيء علينا الا نعلن على رؤوس الاشهاد ، ان قوتنا تتكافأ والحكمة الخاصة التي جعلتنا نختار هذا المذهب من مذاهب الحياة او العلم او الجمال .

وهذا التوازن المستحيل الواهي ، الدائم بين ما هو منفتح الى اقصى حدود الانفتاح وبين المضمر المنطوي ، هذا التوازن الموصوف ، قد تم لاول مرة في هذا القرن ، القرن العشرين ، بعد ان اطال انتظارنا له ، ولكن تحقق في نهاية الامر ، فهو ، على ما ارى ، السبيل المشروع امامنا وامام الجيل الطالع .

ومثل هذا التوازن، للناس اجمع. اما الفنان ، واما العالم، فتنتظرهما مشكلة اخرى كما انهما يستشرفان أملاً آخر ، اذ بالرغم من طرائقهما المتباينة كل التباين ، وبالرغم مما لحياة كل واحد منهما من الخصائص المميزة ، فلا يزال ثمة رابطة تجمع بينهما ، وشبه ملموس بين الواحد والآخر . فكلا رجل العلم ورجل الفن يعيشان في مطاوي الاسرار وتحف بهما الاحاجي من كل جانب . وقد كتب عليهما ، وفقاً لما تقتضيه طبيعة العمل الابداعي الذي يقوم به كل واحد منهما ، مراعاة التوفيق والانسجام ، بين ما هو واقع محيز ، وبين ما هو مألوف معروف ، محاولين الابقاء على التوازن بين الجديد وبين المؤلف المركب ، بعد ان قسط عليهما تحقيق شيء من النظام في هذه الفوضى المستحكمة . فباستطاعة كل واحد منهما ان يساعد الآخر ، في كل ما يقومان به من اعمال او ينهجان من مسلك ، كما في مكنة الواحد منهما ان يمد يداً رفيقة للآخر كما يمدانها للناس اجمع . فباستطاعتهما ان ينشئا المسالك التي تشد بعضاً الى بعض دساكر الفن والعلم كما تشدها الى العالم اجمع ، وان يوجدا هذه الروابط المتنوعة الثمينة التي تجعل من العالم وحدة مشتركة .

ان منهجاً من هذا النوع ليس من صفته ان يجعل الحياة هينة سهلة اذ ان من شأنه ان يركبنا مركباً خشناً فيجعل اذهاننا دوماً يقظة ساهرة ، ويصون تحسسنا بالجمال وقدرتنا على تحيزه ، وطاقتنا العارضة على اجتلائه ، حتى في الاماكن البعيدة او الغريبة او غير المألوفة . وستمر بنا جميعاً ظروف قاسية لانشاء مثل هذه الحدائق في قرانا والمحافظة عليها ، واستبقاء هذه المسالك الملتوية المتشعبة ، سالكة صالحة للمرور والعبور ، وتأمين ازدهارها وانارتها في وسط عالم عجاج ، فسيح الارجاء ، متفتح الجوانب . ويبدو لي ان على مثل هذا الوضع يتوقف مصير الانسان ومسيره ، اذ انه وضع يساعدنا على البذل الكريم ، والجود بالنفس ، اذ اننا قوم من لحم ودم نشعر بالحب ونتحسسه ونستطيع بالتالي مبادلته الآخرين .

يوسف اسعد داغر

قصة سورية

حوادث بسيطة

بقلم جورج سالم

جلس العم يوسف امام باب دكانه الصغير وهو ينتظر مرور احد من معارفه . الهواء يصفر ويحمل معه غباراً يتطاير في الفضاء ، وهناك شيء من الرطوبة تشيع في الجو . انه الخريف اذ يعود التلاميذ الى مدارسهم .

وفرك العم يوسف يديه قليلا : «هذا موسم العمل . » انه ينتظر في كل عام افتتاح المدارس بشوق عنيد . ان التلاميذ ليتسارعون عند الظهر والعصر لشراء حوائجهم من دكان العم يوسف . اقلام وممساح وألواح حجرية ، ودفاتر رسم وزجاجات حبر .. « الهي عليك توكلت ! »

سمع العم يوسف ضجة فأرهف سمعه .. لقد مرت سيارتان كبيرتان من سيارات الشحن .

لا يزال العم يوسف ينتظر ، والمارة قليل . لقد اعتاد الصبر ، فعسى ان يمر به احد عما قليل ، وماذا يستطيع ان يفعل سوى ان يصبر !

الكرسي الخشبي يئن تحته كلما تحرك ، ليس هذا بعجيب ، فالكرسي قديم قديم كالعم يوسف نفسه ، هو ودكانه ومظهره وهيئته . منذ سنين كثيرة وهو في هذه الدكان ، والغبار يتراكم فيها يوماً بعد يوم وسنة بعد سنة ، والسنون تتراكم هي الاخرى فوق ظهره .

ان ثيابه غاية في البساطة والهلهلة ، سروال مهترىء قد حال لونه ، واصفرت مواضع الركبة منه ، وسترة رمادية ذات عرى واسعة لكثرة ما يحل العم يوسف ازراره ثم يعيد ربطها . وتلف هذه الثياب جسماً نحيلاً معروقاً ، فوقه رأس صغير جداً أبرز ما فيه نظارتان سوداوان تحجبان عيني العم يوسف .

« الهي عليك توكلت » وردد العم يوسف لازمته هذه التي لا تدع شفتيه طوال النهار والليل .

ــ مرحباً عمي يوسف .

واخيراً ... مر به انسان يعرفه .

ــ الف مرحباً يا فتحي ، كيف حالك ؟

ــ الحمد لله .

وتنحنح قليلاً قبل ان يقول :

يا فتحي لقد اتيت في الوقت المناسب .

ــ امر ، يا عم يوسف .

هل تستطيع ان تسعفني بعلبة سجائر .

ــ امرك يا عمي .

ومدّ يده الى جيبه ليخرج منه ربع ليرة .

ــ علبة ريجي .

ــ ولكن ...

فحملق فيه العم يوسف وعيناه مغمضتان .

ــ ماذا ؟

ــ هذه ربع ليرة مزيفة لا تصرف ، من اعطاك هذه العملة المسيحة ؟

اضطرب العم يوسف قليلاً وتصببت منه بعض قطرات من العرق ، وراح يتذكر ، حقاً انها لكارثة ، لعله ذلك التلميذ الصغير الذي كانت ضحكته تملأ الدكان .

ــ خبثاء ، قرود ، شياطين . آه ، اطفال هذه الايام . نعم نعم ، لقد وضعتها في جيبي ، انه نفسه ، لقد صممت ان اشتري بها علبة سجاير . ما افظع الاطفال في هذه الايام ، تأمّل يا فتحي ، انه لا يكاد يجاوز السابعة او الثامنة ، لقد افاد الخبث من آفتي .

ــ انهم خبثاء دائماً .

ــ لا لا ، لقد كنت افضل منهم وانا صغير .

وتنفس العم يوسف طويلاً : افتح الدرج الصغير وخذ منه ربع ليرة .

ودخل فتحي الدكان ثم عاد بعد لحظة ، وجذبه العم يوسف :

ــ تأمل لقد سألته ما اسمه وفي اي صف هو ، فلم يجب . انهم جميعاً لا يجيبون ، كم اتمنى ان احادثهم واستمع الى صوتهم وكلامهم . انني اسألهم ماذا يأكلون ، واين يسكنون ومن معلموهم ، ولكنهم جميعاً يضعون الدفاتر والاقلام في حقائبهم ويفرون كالعصافير . أتعلم يا فتحي ، لقد كنت اسامحه من كل قلبي لو أنه اجاب عن

واحد فقط من اسئلتي ، لو انه قال لي ماذا يأكل ، اذن لامضيت النهار كله اجتر صوته وضحكته واملأ انفي من رائحة شهيته ، ولكنهم جميعاً يفرون .. وابقى ههنا وحدي دون صوت او صدى صوت .

حمل اليه فتحي علبة الدخان ومضى لشأنه . وراح العم يوسف يحرق لفائفه الواحدة تلو الاخرى بقداحته البيضاء القديمة ذات الفتيل البرتقالي الطويل .

* * *

انتصف النهار ودق جرس الانصراف الى البيت ، فتدفق بادىء ذي بدء سيل من صغار الطلاب ومضوا متلكئين متباطئين ، يتدافعون بالمناكب ، ويخطف بعضهم قبعات بعض . ثمة وشوشات ناعمة الى جانبها ضحكات تملأ الجو ، وتجمعات ووقفات تطول وتقصر .

وحين وصلوا الى دكان العم يوسف ، توقف فريق منهم امامها ، وراح يتأمل ما فيها من اصناف الدفاتر . وفي تلك اللحظة قدم سليم النجار ، وهو فتى يكبر لداته ، قوي الجسم ، احمر الوجه ، على وجهه علامات الكبرياء والعنجهية . كان هذا زعيم رفاقه يأتمرون بأمره ويسيرون وفق هواه . وبدا لسليم ان يظهر قوته لرفاقه ، فغمزهم بعينه وهو يشير الى العم يوسف ، وسرعان ما سرت الابتسامات في الوجوه ، وحدقت العيون مستطلعة .

اقترب سليم من عصا العم يوسف فركلها ، الا انه لم ينصرف بل عاد فركلها ثانية ، والعم يوسف يزمجر هادئاً مرة ، ثائراً مرة اخرى ، حتى ضاق به صدره آخر الامر ، فأهوى بعصاه ، وهو يجهل مكان الفتى بالتدقيق ، الا ان عصاه اصابت الفتى فشجته في جبينه ففزع هذا من رؤية الدم وابتعد الى الوراء وهو يزمجر :

— لسوف ترى . سآتيك بأبي الضابط بعد الظهر ، لسوف ترى .

— احضر جدك أيضاً .

الا ان الفتى احضر فعلا اباه معه بعد الظهر ، ومشى امامه متخايلا ، لم يكن ابوه ضابطاً بل كان دركياً بسيطاً ... ولم يطل نقاش الرجلين طويلا ، ذلك بأن الدركي انهال على رأس العم يوسف ، فأشبعه ضرباً ، والعم يوسف عاجز عن ان يرد لهضرباته .

— انت قذر حقير ، اعمى ..

عاد الاب الى بيته ، ومضى الولد الى المدرسة متبختراً مسروراً ، وراح الطلاب الذين شاهدوا الحادثة يروونها لمن لم يشاهدها مضيفين اليها بعض الحواشي ، مسهبين في وصف بطولة ابي سليم وجبروته ، وسكر سليم بكل ذلك .

لم يستطع العم يوسف ان يستمر في جلسته تلك ، فانتقل الى داخل الدكان ، ثم عاد فخرج منها ولكنه لم يمكث هنيهة حتى عاد فدخلها من جديد .

« يعيرني بالعمى ، أليس كذلك ؟ أأنا الذي جلبت لنفسي هذه الآفة . منذ خمسين عاماً وانا احتمل ظلم الناس وضيمهم ، ماذا افدت من مرور الايام ؟ لا شيء ، لا شيء سوى الالم والضيق . » وخيل للعم يوسف ان غريمه واقف امامه فحرك عصاه بعصبية ، الا انها لم تصدم الا الهواء ، ثم نقر بها الارض نقراً عنيفاً . ان نفسه لتغلي كمرجل عظيم .

— الناس ، كلهم اشرار ، اولاد زنى ... لم يستمع الى اقوالي ، ولم يسأل احداً البتة عما حدث .. لكم أتمنى لو أشرح له فقط ماذا حدث وكيف حدث .

ثم دخل الدكان فلملم بعض حوائجه ووضع القفل الكبير على الباب وانطلق مبكراً على غير عادته ، وفي اعماقه نقمة على الناس والحياة ، وظمأ الى الهدوء والطمأنينة .

— حياتي كلها حرمان ... علام حصلت خلال حياتي كلها ؟ ليس لي مال اعتمد عليه او اقرباء الجأ اليهم او امرأة آوي اليها بعد عناء اليوم ... لا شيء ، دائماً لا شيء ، الايام متشابهة ، وهذا اليوم كاليوم الذي مر منذ ثلاثين عاماً ، بل انه لأقسى وامر ..

وابتاع في طريقه رغيفاً وقطعة جبن وعنقوداً من العنب لعشائه . ومضى تقوده عصاه ، يطرق بها ارصفة الشوارع حتى تفضي به الى بيته الحقير .

الوهم المنتظر ...

كانت الدنيا حزينه ،
كان ضوء القمر المتعوب ،
يحبو في سكينه
ويندّي في ارتخاء ..
كل اعماق المدينه ،
ثم يجلو ....
وجهها البارد مُلقىً خلف بابي
ملء عينيها وجومي واغترابي
خلف بابي
تطلق الوحشة والنسيان ،
ذكراها السجينه
في انتصاف الليل .. والدنيا حزينه
كضياعي .. كرؤى روحي المريره

ليس فيها غير صمتي ،
غير موتي ...
ومصابيح صغيره
خلف شباكي على ليل الطريق
تنزف النور وتجلو ....
قطعة بيضاء في الظل العميق
تتمطى في ملال واكتئابِ
خلف بابي ،
حيث ضوء القمر المتعوب
يحبو في سكينه
ويندّي في ذهول ، كل
أعماق المدينه

لندن سعدون فاضل

وحين وصل الى الشارع الضيق ولج الدار الواسعة التي يسكنها عشرات الشيوخ فدخل غرفته الرطبة ووضع الطعام على الارض ثم نادى بأعلى صوته :

« شامة ! شامة ! »

الا ان الهرة لم تجب النداء ، انها وحدها اليفته وموضع عطفه ، واليها وحدها يستطيع ان يفضي بما يختلج في نفسه من شجون .

« شامة ! »

وبعد فترة طويلة من الانتظـــار القاسي ، اقبلت الهرة تتباطأ في سيرها ، فاقتربت من العم يوسف وهي تمـــوء وتمسحت بثوبه الا انه قبض على عنقها وصرخ في وجهها :

— أأنت ايضــاً لا تحبينني ، وتسخرين من عماي ، ثم لا تحضرين بسرعة حين ادعوك ؟

وضغط بيده اليسرى على عنقها ، وانهال بعصاه على رأسها فاشبعه ضرباً ، والهرة تصرخ صراخاً عاليــاً وترفس الارض برجليها وهي تسعى جاهــدة للافلات من بين اصابعه . الا انـه ظل يضغط على عنقها وينهال عليها بالعصا حتى نفضت روحها .

رمى العم يوسف الهرة في صحن الدار وعاد فاستلقى على فراشه وراح يغط في نومه غطيطاً عالياً .

حلب جورج سالم

من « الاصدقاء »

فروست : الشاعر الحكيم

ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة

ان نشر الطبعة الجديدة لمجموعة اشعار روبرت فروست (سنة ١٩٤٩) يتيح لنا فرصة سانحة لاستقصاء مجمل نتاجه ، كي يكون في استطاعتنا ان نسأل انفسنا عن المكانة التي يحتلها فروست في الشعر الاميركي . ولد فروست في عام ١٨٧٥ ، وقد اكتشفت شاعريته في انكلترا حيث نشر ديوانه الاول (إرادة صبي) سنة ١٩١٣ ، وفي السنة الثانية ظهر ديوانه الثاني (شمال بوسطن) في انكلترا ايضاً ، ثم توطدت سمعته في الولايات المتحدة ، فعاد الى وطنه مسرعاً على عجل ليستقر في (نيوهامشاير) . وهنا اصبح امير الشعراء في نيوانكلند . وفي عام ١٩٣٩ ، وبعد ان احرز جائزة بولتزر ثلاث مرات ، طبع مجموعة قصائده ، وهذه المجموعة تتضمن كل ما نشره سابقاً بزيادة منظوماته الجديدة .

اما اقليمية فروست ، وهي المنظر الذي جعله مصنفو الشعراء المحترفون واضحاً كل الوضوح ، فليس — في الواقع — مفتاح ميزته ودلالة انتاجه . ومن الطبيعي انه احب ان يَسِم نفسه بسمة الفلاح الامريكي (اليانكي) في حدة ذكائه ، وألمعيته ، ولكن هذا الذكاء وهذه الحكمة العملية اعاناته ليربط بين الايمان والشكوكية ، في فكرة ارشادية محبوبة ليس فيها ما هو محلي ، ولكنك ترى لها مثيلاً عند الحكماء الصينيين والفلاحين الاسكتلنديين .

كان فروست يحب دائماً ان يتصور نفسه راسياً في اقليم معين ، وكان يمجد الصفات التي امتازت بها نيوهامشاير ، ولكننا يجب ان لا نؤخذ بهذا كثيراً . فصلته بالمناظر الطبيعية المحببة اليه ، وطريقة حياته التي اعتز بها ، لم تعودا مهمتين لفهم ميزات شعره ، كمعرفة (منطقة البحيرات) في مساعدتنا على تفهم وردزورث ، وهما اقل قيمة عن شعور جورج كراب بالمناظر السوداوية المحيطة بـ (اولد بورة) من اجل ادراك (بيتر غرمز) ادراكاً عميقاً .

والواقع ان شيئاً ما من وردزورث وكراب يسهم في تكوين فروست : فهو يملك (ولو بطريقة مختلفة كل الاختلاف) شعور وردزورث بالعلاقة الوثيقة بين الجهد البشري والجغرافية الطبيعية ، وقدرة كراب على ربط كآبة المناظر بامزجة الناس . ومع ذلك ، فمن الواضح ان فروست شاعر ارشادي يقوده هيامه بالتعليم الى تمثيل الامثال وسرد الحكايات الرمزية ، من حين الى آخر ، كما في (الزنبور والذيل الابيض) وهي حكاية رمزية ذات خاتمة لاذعة لاسعة او كما تراه في البيتين الختاميين من قصيدته (الاقوياء لا يقولون شيئاً) وهما :

« تنتقل الرياح من مزرعة الى اخرى ، في تيار إثر تيار
ولكنها لا تحمل شيئاً عن آمالنا
وقد يكون ما بعد القبر اشياء قليلة او كثيرة
الا ان الاقوياء لا يقولون شيئاً ، حتى يروا ذلك عياناً . »

يرغب فروست في رؤية الناس من خلال العناصر التي تكوّن مواقفهم . وحالما يرتّب هذه العناصر وينسقها يستقريء النتائج ، إما بوضوح او باستخفاء مصطنع . وهذا الاصرار على تناول السناد (العنصري) في هذا الجو من الحكمة يُعينه على اتخاذ جو من الحكمة ، لان جميع الناس اكثر حكمة في المشاهد الطبيعية ، مما هم عليه حين يواجهون السياسة المدنية او المنازعات الدولية . وكيفما كان الامر ، فان الحكمة التي تظاهر بها ليست مجرد تظاهر ، فهو يجد في الريف مناظر ومواقف (وكل منظر لدى فروست له تقريباً ما يماثله من الوضعيات الانسانية) وهذه ومضات ادراكية فيها اصالة ولها اهمية ، فهو مثلاً يستقطر معنى من حديث

امرأة او رجل تجمعها احدى المزارع المنفردة ، وهذا أمر ليس في الوسع اكتشافه في كثير من القرائن الاخرى . وبهذا الخصوص تمكن من توسيع تقاليد الشعر الجورجي وتعميقها ، هذا الشعر الذي حاول في انكلترا الشيء نفسه ، ولكنه أوسن في مستنقع السفسطائية الرعوية .

واذا ما نظرنا الى الشاعر من غضون تاريخ الادب الانكليزي (ولو ان فروست حاز على سمعة الشاعرية في انكلترا ، تلك المقدرة التي لم تعجبها كثيراً) لامكننا ان نعده من الطراز الجورجي الذي يمثله شعراء من اضراب جون درنك وتر و و.هـ. دافيز وهارولد مونرو . ولكنه — كما قلت — وسع تلك التقاليد وانجز ما لم يستطع انجازه الجورجيون بنجاح كبير . ثم إنه يستخدم بدعاً (جذرية) في التقنية كالجورجيين تاركاً استعمال المصطلحات المرنة ذوات الاسس التي تبدو في الاحاديث الاعتيادية والاوزان الشكلية وهو مثلهم في الانسان المصفد بقيود فصول السنة ، بدلاً من

الانسان المقيد باسار المجتمع (١) ، وطبيعي ان القيود الاولى هي وحدها التي تنيل الانسان الحرية التي يصبو اليها .

وأيّاً ما كان الامر ، فمن الخطأ ان نفصل (رسالة) فروست عن مصطلحاته واسلوبه الشعري العام ، لان اهميته كشاعر ، تكمن في عرض مصطلحاته من طريق اسلوبه . فهو يستخدم شعوراً جلياً بارزاً مباشراً في احسن اشعاره ، الى حد ان القارىء الذي يقتفي اثره يتوقف فجأة ، كما أوقف ضيف العرس في (النوتي القديم) فيحس كأن احداً جذبه من هدب ثوبه . وكلما استمرت القصيدة في عرضها وسيرها يرتفع سيل النغم بواسطة المصطلحات الكلامية ، حتى لكأن احدنا يشعر بمشاركة غيره له ، وهذا زيادة على الهدوء الذي يعتوره ويُسهّل مهمته ... ثم إن الشاعر يضعنا في وسط النكتة والموقف بما يحدثنا به من كلام هادىء رزين مقنع ، وحالما نكون قد توسطنا الحلبة تتفتح القصيدة فتنتقل بمرونة بارزة من مكان الى مكان، حتى نبلغ النهاية باستقراء فيه لذعة شديدة او يسيرة . وهذا ما يجعل من المهم بالقياس الى القارىء ان يميز بين فروست الاصيل وفروست المقلد . وفي الوقت نفسه يذكرنا فروست نفسه بانه يقوم بهذا الضرب من العمل بيسر مدهش مذهل ، ثم يُطوّر قدرته هذه وفق الاحوال المستجدة ، التي تضطره الى تقليد نفسه .

وفي هذا التقليد نفسه نوع من الابتكار التكنيكي الذي فات نظر النقاد الذين اهتموا اكبر الاهتمام بالتجارب الجذرية الحديثة في مجالات التقنية . وبعد ، فارتباط النغم بالاوزان المعروفة ، يدفع بفروست الى ضرب من الشعر يُعرف — في احسن صوره — بميزة درامية اشتهر بها كُتّاب المسرحيات اليعقوبيون الانكليز ، وأعني بهذه الميزة الجفاف ممتزجاً بالبلاغة — والقدرة على احتمال اي معنًى تقريباً بغير الاستناد الى اي رمزية لا تنبعث مما هو موجود في القصيدة في الواقع . وفي بعض الاحيان قد يبرز هذا السؤال ، لماذا لا يلجأ فروست الى الغموض ، مخالفاً بذلك معظم شعرائنا المعروفين ؟ والجواب عن هذا السؤال يتضمن في تجنبه للمواقف الظريفة ! اما (الارض الخراب) فتبدو ظاهرة متناقضة ، لطيفة الاثر ، حسنة الوقع .

(١) يميز الكاتب هنا بين الانسان الطبيعي الساذج وبين الانسان المقيد باصفاد المجتمع (المترجم)

واما مشكلة تفسخ الايمان التي حملت ييتس على الصوفية الذاتية واليوت على اغرب نوع من العبث فهي غير موجودة بالقياس الى سكان الارياف العاملين الذين تظل حكمتهم كحكمة هسيود (اعمال وايام) ثم ان اتحاد الشكوكية والايمان الذي لمحنا اليه ، على انه الميزة الرئيسية في شعر فروست ، هذا الاتحاد هو طابع كل جيل من اجيال الناس له صلة بالعمل في الريف . خاب وردزورث في ادراك هذا الموقف لانه لم يرتبط في عمله — (بمنطقة البحيرات) — غير ان (كراب) انجز شيئاً من هذا لعلاقته الصحيحة بمن كانت لهم مثل هذه الصلة .

وثمة سبب آخر لتنكب فروست عن الغموض الذي نجده عند غيره من الشعراء المحدثين ، يكمن في حقيقة ما يقدمه من ومضات فكرية من خلال (الديالوغ) واعني بذلك (الديالوغ الثنائي) وليس (الديالوغ الفردي) لان الديالوغ الفردي هو طريق ميتافيزيقية امتدت الى الشعر الانكليزي بعد ان اخذت حظها من الدراما الشعرية ، ولكن الذين بقوا في القرن السابع عشر في انكلترا من الشعراء الدراميين ، واقصد بهؤلاء من تخلف عن شكسبير ، هؤلاء طوروا الشعر بحيث اعتمدوا على ما يعرف بـ (الشعر غير المقفى) وهذا الشعر لا يختلف كبير اختلاف عن شعر فروست . يذكرنا شعر فروست — في ارقى صوره — بجون فورد . ولما كان اليوت يستمد وحيه من الشعراء الميتافيزيقيين والدراميين اليعقوبيين ، لنا ان نظن بأن (دون) وفورد قد استخدما تعبيراً شعرياً مماثلا ، ولكن الديالوغ الفردي الميتافيريقي ، هو بطبيعة الاشياء اكثر انسجاماً وتماسكاً واشد حصافة من شعر فروست (الثنائي) .

صحيح ان لفروست حذقاً ومهارة في شعره تماثلان حذق فورد ، الا ان غرابة الاطوار لاتزال تلازم الملاحظة الجافة بدلا من العاطفة الماهرة الحاذقة : تعرف كثير من قصائد فروست بتفاهتها وغرابتها وشعبيتها وإرشاديتها الثقيلة . اما هو — في خير نتاجه — فعلى صلة بهسيود وتيوقريتس وفرجيل والجورجيين الانكليز وكذلك يبدو العرق اللاتيني حياً واقعياً في شعره ، فنحن لسنا بحاجة لان نقرأ (Build Soil) كي نتأكد من الديالوغ الراعوي الفرجيلي وتأثره بالعلاقات اللاتينية هذا بالاضافة الى العنصر الروماني الجمهوري الذي يلوح تأثيره في الشاعر والذي نعثر على شيء منه عند كاتو الكبير الذي كتب (De Rustica) والذي قضى معظم حياته مهاجماً رغد العيش والترف المتصلين باليونان المناهضين للمدنية اليونانية (ووطنية كاتو لها ما يماثلها لدى فروست) .

وللوقريتس نصيبه من التأثير في الشاعر . ولوقرتيس هذا هو ذلك الشاعر الذي هاجم الدين الشكلي في عصره في الوقت الذي يظهر من قصيدته الفلسفية ايمانه بإله الطبيعة ، وهذا ما يفضح شكوكه التي اعترف بهـا . ثم ان الشعراء اللاتين الهجائيين ساعدوا فروست على تقوية لذعة ريشته فلم يعد يخشى استخدام ذكائه بظرف والطف فيما يعرضه علينا من طُرَف مليحة ونكت حلوة .

تمكن فروست من شد أواصر العمل بالطبيعة وربطها جميعاً بالصلاة الانسانية ، ومن الابتعاد عن اساليب الشعر في عصره مطوراً بذلك تعبيراً شعرياً خاصاً فيه طلاوة وطراوة وفيه شيء من التقاليد ايضاً . هذا عدا مافيه من الحذق الدرامي الهجائي المباشر . تجد ذلك في اغاني (ارادة صبي) التقليدية والديالوغات الطرية في (شمال بوسطن) والحكايات الرمزية في (المجال الأبعد) والقصائد الهجائية في (شجرة الشاهد) والدراما المباشرة في (قناع العقل) و (قناع الرحمة) وذلك بان فروست سار على طريقة منفردة وحيداً من غير ان يتوقف لحظة الا لينظر في مرآته . وهذا ما جعله — في بعض الاحيان — ملتوياً في اسلوبه يغلب عليه التكرار ، غير ان هذا الامر نفسه جنبه الارتباط بكل موكب جديد يبدأ المسير من زاوية الشعراء وقبل كل شيء اقصاه عن نسيان واجبه الشعري في إيجاد مجال التجربة لبذر نثار الحكمة التي يستطيع ايصالها الى الاخرين بابداع تلميحات وامزجة ملائمة وحكايات رمزية موائمة .

العراق — بعقوبة   يوسف عبد المسيح ثروة

عائشة التيمورية

بقلم علي الحيدي

لقد كان الشعر العربي في القرن التاسع عشر الميلادي يتميز بالتقليد والمحاكاة ، اما التجديد الذي حصل فيه ، فلم يكن إلا تجديداً جزئياً وغير جوهري . وقد وجدت اثناء دراساتي الأدبية للشعر العربي في كل من لبنان والعراق ومصر ، ان هذه الصفة تكاد تغلب على الشعر العربي كله . ولعل لتشابه الظروف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ما يبرر هذا التقليد وهذا الجمود ، فكان ان نمت الاغراض التقليدية في الشعر – كالمدح والرثاء والتهنئة – نمواً مطرداً ، وانتشرت انتشاراً سريعاً . وقد سبق ان درستُ الاغراض التقليدية عند بعض شعراء العراق ، كالسيد حيدر الحلبي وسليمان الكبير وعباس النجفي وعند بعض شعراء لبنان ، كابراهيم صادق العاملي . وأود ان اتحدث اليوم عن شاعرة من مصر ، هي عائشة التيمورية ، لمناسبة مرور ٥٦ عاماً على وفاتها في الخامس والعشرين من الشهر الحالي .

ولدت عائشة عصمت بنت اسماعيل تيمور بن محمد كاشف تيمور ، في القاهرة ، في عام ١٨٤٠ ، ونالت من التربية الادبية قسطاً وافراً ، فدرست على جملة من اساتذة العربية والفقه والدين ، مثل ابراهيم مؤنس الذي درست عليه القرآن والفقه والخط ، وخليل رجائي الذي درست عليه علم الصرف واللغة الفارسية . كما كان من اساتذتها ايضاً فاطمة الازهرية وستيتة الطبلاوية .

وكانت منصرفة في مطلع شبابها الى دراسة العربية والادب ، وخاصة الشعر بكل جوارحها ، حتى تمكنت من نظم قصائد تقليدية لا بأس بها . وقد شجعها على ذلك والدها أيما تشجيع .

وفي عام ١٨٥٤ تزوجت من محمد اللاسلامبولي (كان كاتباً للديوان الهمايوني في الاستانة) فانصرفت عن الدراسة الى تدبير المنزل . ومع هذا كانت تنتهز الفرصة للمطالعة ونظم الشعر ، وان كانت هذه الفرصة قليلة .

إلا ان ذلك لم يستمر طويلاً ، اذ ما ان حلّ عام ١٨٧٤ حتى توفي زوجها ، بعد ان انجبت منه ابنة اسمها « توحيدة » ، وعندما كبرت ابنتها ألقت عليها مسؤلية المنزل واعماله ، وتفرغت نهائياً الى الشعر والادب والدراسة .

إلا ان ابنتها ما لبثت ان توفيت ، وهي في اوج شبابها ، فمس هذا الحادث مساً أليماً قلب شاعرتنا وظلت تبكيها بقصيدها ودموعها سبعة اعوام ، الى ان راع سوء حالها بعض صديقاتها ومعارفها ، فخففوا عنها وأقنعوها بطرد الحزن من قلبها . وعند ذلك اتجهت مرة اخرى الى الشعر والأدب ، فأولتهما عنايتها ، وأصدرت ديوان شعر بالتركية ، وديوان شعر بالعربية ، وبضعة من الكتب الأدبية ، سنتكلم عنها عند الكلام عن آثارها الأدبية .

أما وفاتها ، فكانت في الخامسة والعشرين من مارس ١٩٠٢ . وقد كان لوفاتها وقع أليم على قلوب أصدقائها ومعارفها ، وعلى انصار المرأة آنذاك ، اذ كانت اول من تحدت التقاليد وأبرزت مواهبها بصبرها وكفاحها ، بالرغم مما اعترض طريقها من عراقيل .

وقد جاء ذكرها وذكر نبوغها في كثير من كتب الادب والتاريخ . فقال المؤرخ يوسف يعقوب مسكوني عنها : « كانت أديبة فاضلة حكيمة عاقلة بارعة باهرة شاعرة ناثرة ، رضعت أفاويق الادب قبل تضلعها من اللغة التركية ، وفاقت على أقرانها فصاحة عند بلوغها سن الرشاد ، وصارت نادرة زمانها بين أهل الانشاء والانشاد ، وسارت في مضمار ادباء هذا العصر . »

وقال عنها الاستاذ محمد امين حسونة : « كانت هذه السيدة الجليلة تمثل بحق اولى انفاس المرأة المصرية في الجو الطليق ، واولئك اللواتي عرفتهن مصر بعدها أديبات او شاعرات او سياسيات وما الى ذلك مدينات لها بهذه الوثبة الجريئة التي ايقظت المرأة المصرية من سباتها العميق لتتفتح عينها على مشاهد الحياة جميعاً . »

ومن الذين كتبوا عنها الاديبة المرحومة مي زيادة ، والاستاذ عباس محمود العقاد ، والسيدة وردة اليازجي ، وغيرهم .

ان مكانتها الادبية في ذلك العصر ، كانت ولا شك

مرموقـة ، ذلك لانها من النساء اللواتي برهن على مواهب وقابليات المرأة العربية ، واللواتي كافحن وضحين في سبيل المساواة والعدالة .

اما شعرها فتقليدي ، تغلب اللفظة فيـه على المعنى ، والشكل على المضمون . فمن شعرها التقليدي ، هذه الابيات من قصيدة وجدانية :

يا بغيـــة الصبّ رفقاً بالفؤاد فقد   أشجاه ما بك من تيه ومن ميلِ

بالصب ألهبت قلبـــاً انت ساكنه   هلا عطفت على سكناك يا أملي

قابلت طيفك ليـــلاً كي اعانقه   وقت ألثم ثغراً شيب بالعسلِ

فأغمضَ الطرفَ عني معرضاً ونأى   بجانب التيـه مذ ولى على عجلِ

فمهجتي احرقت من حرّ ما وجدت   ومقلتي أغرقت في دمعها الهطلِ

ومن شعرها الغزلي أيضاً هذه الابيات :

ملك الفؤاد وقد هجر   بدر المحاسن مذ ظهر

عذب الرضاب مهفهف   يسبي المتيم بالحـــور

ما حيلتي في حبّــه   إلا الخضوع لما أمر

أشكي الغرام ويشتكي   جفن تعذب بالسهر

قابلتـــه متثنيـــاً   تاهيك من غصن خطر

ورأيتـــه متبسمـــاً   كالبدر لما ان ظهر

وقد عالجت في شعرها معظم الاغراض التقليدية ، كالتهنئة والرثاء والمدح وما الى ذلك . ومن قصائدها التي تعبر تعبيراً جميلًا عن رقة قلبها ، وشدة حنينها الى مَنْ تحب ، هـذه القصيدة التي جاءت على شكل موشح :

قسماً بأنصار العيـــون   وبعزّة القـــد المصون

ذلي وأسري قـد يهون   في حبّ مَن رفع اللوا

قد بان منقوط الخدود   بالخال وابتعـــد الصدود

لو جاز للمضنى السجود   لسجدت شكراً للهوى

أفديك يا غصن النقـــا   ذاب الشجى ولك البقا

مجنون ليلى مـــا لقى   ما قد لقيت من الجوى

كم قلت يا حلو الخضاب   داو المتيم بالرضـــاب

واسمع لصبك باقتراب   ما لي سوى هذا دوى

قسماً بلحظك والخـدود   وبنارهـا ذات الوقود

وبلين عطفك والقـدود   ترثي لصب مـــا غوى

يكفي صدودك يا غزال   عطفاً لعشاق الجمـــال

ألحاظك المرضى الكحال   هاروت عنها قـد روى

ولها قصائد وصفية ، تتميز بالاجـادة آناً وبالتقليد آناً آخر ، كما ان لها قصائد في التهنئة والمدح ، وقد اقتصرت على عدد من رجال الحكم آنذاك ومعارفها وأصدقائها . أما مراثيها فهي كثيرة ومعظمها في رثاء ابنتها « وحيدة » . ولها قصائد في الشكوى والعتاب ، منها هذه الابيات التي تتذمر فيها من الحياة ، و كأنها ترثي نفسها :

اعلل نفسي والأمـــاني كثيرة   وما كان أغنى النفس عن ذا التعلل

فلا الوقت في أمري فأقضي مآربي   ولا الدهر يصفو لي فأكمد عذّلي

ولا النيل يدنو لي فأروي بفيضه   ولا الصبر طوع لي فتحلو الحياة لي

ولا الحظ ذو سعد ولا البخت مسعف   ولا مهجتي صاد ، اقول : تحملي

ولا لوم ان واريت في الترب جثتي   وقلـــت أقيمي حيث ذلك منزلي

ومن هذه الشواهـد ، نستطيع ان نتعرف الى عائشة التيمورية .

ولم يكن نتاج شاعرتنا قاصراً على الشعر فحسب ، وانما تعداه الى النثر وتأليف الكتب وتحرير المقالات ، وأهم مؤلفاتها الادبية هي :

١ ـ ديوان شعر باللغة التركية ، تحت اسم « شكوفة » (اي وردة) . وقد طبع في الاستانة في ١٨٩٤ .

٢ ـ ديوان شعر باللغـــة العربية ، تحت اسم « حلية الطراز » . وقد طبع مرتين ، الاولى في ١٨٨٥ ، والثانية في ١٨٩٢ ، وقد قرظ الديوان وكتب عنه في أوان صدوره عدد من الادباء والاديبات .

٣ ـ نتائج الاحوال في الاقوال والافعال : وهي قصة خيالية طويلة ، تؤكد انتصار الخير على الشر . والاسلوب الذي كتبت به القصة اسلوب تقليدي ، اذ انها تشابه القصص الخيالية التي يقرأها الاطفال في مدارسنا ، والتي تكون ذات اهداف اخلاقية . وقد طبعت القصة في مطبعة محمد مصطفى بمصر في ١٨٨٧ .

٤ ـ مرآة التأمل في الامور : وهو رسالة ادبية اجتماعية ، دعت الى مساواة المرأة بالرجل والى تعليـم المرأة ورفع مستواها الاجتماعي والثقافي . والكتاب على رسالتين ، نشرت الاولى بمجلة الآداب المصرية في ١٨٩٢ ، وطبعت الثانية في مطبعة النيل بمصر .

٥ ـ وهناك عدد آخر من المقالات والتعليقات ، نشرت في الصحف والمجلات الصادرة آنذاك . ومن اهم هذه المقالات مقالة بعنوان « لا تصلح العائلات إلا بتربية البنات » وقـد اثبتت المقالة في عدة كتب أدبية .

هذه نبـذة قصيرة عن « عائشة التيمورية » في ذكرى وفاتها السادسة والخمسين . ونرجو ان نوفق في دراسة شعرها دراسة تحليلية مفصلة في المستقبل .

الحلة ـ العراق   علي الحسني

اطياف الخليج

الى امي الحالمة ... على ضفاف الخليج العربي

لاحمد امين

بغداد — العراق

مغاني الخليج .. ألا تذكرين ؟.. فتاك الشريد .. بليل السنين
رؤاك تعانقني ... كلما ... اطل عليّ المساء الحزين
تبلورُ في مقلتيّ الدموع ... وُترعشُ في جانحيّ الحنين
حَنيناً ... يفوق حنين الجديب ... الى قطرات السحاب الهتون
يفجّر نفسي ، قرارة نفسي ، نداءً عنيفاً ... قوي الرنين
خليج ... ويا للنداء الحبيب ... يرنّ بأعماقِ روحي الحنون
تصاعد كالمدّ في اعرقي ... وكالعصفِ من اضلعي في الدجون
خليج ... خليج ... ويعلو النّشيج ... بصدري .. ويعلو خفوق الانين
فداك الوجود .. وجودي أنا ... وكل الذي ذقته من شجون
احسُّك حلم ربيع وريقٍ ... وغيمة نور ... وبردَ يقين
وكوناً يدورُ ... وشمساً ترفُ ؛ وفجراً بليل العصور جنين
فما أجملَ الفجرَ عبر شواطئك الزرق ... والشمسَ عبر السكون
وحتى الظلامَ .. وحتى هواءك ما الفل ان هبّ ما الياسمين
وحتى التراب الذي انت فيه ... فما ضر لو كان كحل العيون
أأنساك يا منجم اللؤلؤ الرطب والدّر .. يا وطن الخالدين
لقد كنتَ .. يا مهدَ فينيقيا ... منارَ الأشعة للعالمين
وكنتَ مطاف الرؤى والجمال ... واشراقة الفنّ للملهمين
وكنتَ .. وصدر عبابك كانَ .. مرفّاً لأشرعة الفاتحين
مرافؤك الخضر لما تزل ... نشيد الأساطير عبر القرون
أأنساك ؟ لا وشبابي المهان ... فأنت بروحيَ حتى المنون
ولو قذفتني .. رياح الزمان ... شريداً طريداً بليل السنين
أهيمُ غريباً .. ضرير الرؤى .. بيأسي وفقري بقلبي الطعين
فأنى تيممتُ .. تمتد نحوي الأكفُ .. وتزور عنّي العيون
غريبٌ أنا عبر أفقٍ غريب ... كطير كسير الجناح مهين
سأبكيك ما لفّ روحي الدجى .. وناغت طيوفك مني الجفون
سأبكيك .. لم يبق غير الانين ... لديّ ولم تبق غير الشئون
سأبكيك لم يبق لي من عزاء ... سوى الدمع .. يا لعزاء الحزين
سأحياك ما هم ؟. فلتنقصفْ .. ضلوعيَ ولْتَخْشَرْ مني الشجون
أيأزفُ قبلَ مماتيَ يومٌ أفيق ؛ وملء سماك الحنون
من الغيم رفٌ ومن نسماتك بردٌ يدغدغ مني الجفين
أيأزف ؟ ويح فؤادي الحزين ... وبؤسَ شبابي الشريد المهين
فليت مدى الأرض في لفتة ... تكور في خطوتي ؛ والسنين
لأركض حافي الخطا هاتفاً .. اليك .. بافراح قلبي السجين
سأبقى وكلّي انتظار مرير ... ليوم التلاقي وكلي حنين

قصة سورية

قطعة حلوى

بقلم فؤاد الرفاعي

كانت كبرى اختها واخيها . وكانت تمسكها بكلتا يديها ، وتخوض بها الطريق الموحلة ، لتبلغ موقف الاتوبوس ، فتستقله الى جهة تقصدها .

وبلغت الموقف لاهثة ، وبلغاه لاهثين ، ووقفت واياهما تحت المظلة الواقية ، ننتظر مقدم الاتوبوس ، فيمن وقف من المنتظرين .

ولم تكن ترتدي معطفاً يقيها البرد رغم اشتداده ، بل رداءً مهلهلاً حائلَ اللون ، ينتفض جسدها الصغير النحيل تحته في الفترة بعد الفترة ، وكلما ساقت اليها الريح موجةً جديدةً لاسعة من البرد ...

ولم يكن حظ أخويها من الملبس بأحسنَ من حظها ، وان يكونوا قد افرغوا على اخيها الصغير معطفاً عتيقاً مرقعاً ، قد استطال كُمَّاه حتى اختفت فيها راحتاه .

كان يبدو عليها انها لم تتجاوز الثانية عشرة من عمرها ، ومع ذلك ، فقد كان الالم الساذج يرسم في وجهها خطوطاً صارخة ، ويطبع نظراتِها بهذا الروْع الدفين الذي يُشيع في عينيها ألواناً من الأسى ، وصنوفاً من التعبير الصادق عما تعاني من فقر وحرمان .

ولاح الاتوبوس قادماً من نهاية الطريق ، ودبت الحركة في الواقفين استعداداً لاستقباله بعد طول انتظار .. والمطر لا ينفك يتساقط رذاذاً بارداً يلسع الوجوه .

ووقف الاتوبوس امام الموقف ، فتدافع الجميع على غير انتظام يحاولون بلوغ بابه الخلفي ، ليظفروا – متسابقين – بالمقاعد الخالية ... والتقت كلماتُ التذمر بعبارات المصابرة وصيحاتِ الصغار يعتسفهم الزحام ، واختلط هذا كلُّه بصوت عريض أغن ... يُهيب بالناس في ألفاظٍ مشدودة ان يتئدوا ، ليقصُروا من هذا التزاحم البغيض الذي يُضيع الوقت ويهدر الكرامة ... ويتلفت الناس حولهم ، فاذا صاحب الصوت شيخٌ معمم لامعُ العينين ، في وجهه سيماء الوقار ، وفي لحيته امتداد السنين ...

ونفذ صفير قاطع التذاكر يفح كالرقطاء حاراً قاسياً ، يؤذن السائقَ بالمسير ، وما هي الا أن أغلق البابان ، حتى استأنف الاوتوبوس سيره كالمعتاد .

وأقبل قاطع التذاكر على الصبية الصُّغيرة يتقاضاها اجرة الركوب عنها وعن اخويها ، فأطالت النظر الى وجهه قليلاً ، ثم ابتدرته بصوت عالٍ تعترض على هذا الطلب غير المحقّ ، فأخوها صغيرٌ ، ولم يسبق لها ان دفعت عنه قيمة تذكرة ركوب ، ولكن السائق رفض ان يستجيب لها ، واصر على ان يتقاضاها قيمة التذكرة عن اخيها ايضاً ... فازداد صياحها في وجهه ، ثم نهضت وأنهضت معها اخويها ، ونادت السائق بالوقوف لتنزل ، لو لم يتدخل بعض الركّب فيقنع القاطع باعفاء الصغير من قيمة التذكرة .

والتفتت الصبية الى اخيها ، وطلبت اليه ان يعطيها قطعة ربع الليرة ، وكانت قد اعطته اياها لتلهيه بها عن شراء قطعة من الحلوى تعلّق بصرُه بها في مروره بأحد الحوانيت ، ولكن الصغير لم يشأ ان يستجيب لها وضمّ جُسده الصغير الى بعضه كأنه يحمي قطعة النقود من ان تمتد اليها يد اخته فتنتزعها منه ، ثم زمّ شفتيه في ضحكةٍ ماكرة وراح يهز جسده في سخرية عابثة ومشاكسةٍ متعبة ، والصبيةُ الصغيرة تلحف عليه بالطلب ، وتكيل له ضرباتٍ خفيفةً متلاحقةً بمرفقها ، عله ان يُخرج قطعة النقود من مخبئها ..

وطال وقوف قاطع التذاكر ، واحست الصبية ان صبره قد نفذ ، فأمسكت برأس اخيها ، من شعره ، ودسّت اصبعيها في فمه ، واخرجت منه قطعة ربع الليرة ، ودفعت بها الى قاطع التذاكر ، وكأنها تضن بها عليه ، ولكن هذا ابى ان يستلمها ما لم تجففها من لعاب اخيها ... فجعلتها بين ثنيين من ردائها الوسخ ، وفركتها بأصابعها ، ثم دفعت بها اليه ، فسألها : الى اين ؟ فردت عليه بصوتٍ خفيض عاتب : الى قاضي عسكر ...

وكانت اصابع القاطع قد اطبقت

على التذكرة فانتزعتها من مكانها في رزمة التذاكر ، ولكنه ما كاد يسمع جواب الصبية حتى انفجر يصيح في وجهها :

— لماذا ركبتِ هذه السيارة يا حمارة ... الا تعلمين انها تصل بك الى حي الميدان لا الى حي قاضي عسكر ؟

واطرقت الصبية مستحيية ، ثم رفعت اليه عينين يلتمع فيهما الغضب ممزوجاً بالاسى ، وتلفتت حولها بوجه تضرجه حمرة الخجل ، ثم عادت الى الإطراق دون ان ترد بكلمة واحدة !

واعاد القاطع اليها قطعة النقود ، وكأنه يلقي بها في وجهها القاء ، ثم انتهرها بعبارة ساخرة ، وطلب اليها ان تنزل عند اول موقف ، لتستقل اوتوبوس قاضي عسكر ...

وكان بين الركب سيدة في الثلاثين من عمرها ، قد جلست في احد المقاعد ، وجلس الى جانبها ابنها الصغير ، وفي يده قطعة من الحلوى يأكلها في مهل واتئاد ، وكان يبدو عليه وعلى امه الجميلة الانيقة انها من هذه الطبقة المتوسطة التي تـُعنى بمنظرها مهما تكلفها هذه العناية من رهقٍ وإعنات وحرمان غير ظاهر ... فقد استكملت هي كلَّ اسباب الترف والاناقة في ملبسها وحركاتها ونظراتها ... وافرغت على ابنها معطفاً من الصوف الرمادي ، نظيفاً ، عريضاً ، قد اصطنعت له من صوفه قفازاً يحمي يديه من البرد ، وقبعةً مالت نحو اذنه اليسرى في عناية متقنة .

ولقد اشتركت السيدة وابنها مع الصبية بهذا الخطأ الشائع الذي كثيراً ما يقع فيه الناس عندما يستقلون سيارات الاوتوبوس ، فانها كانت تريد ان تستقل سيارة اخرى غير هذه ، توصلها الى حي السليمانية ، ولكنها اخطأت ، وهو خطأ شائع على كل حال ...

وبلغ الاوتوبوس اول موقف يلي مصلحة المطافىء ، فتوقف ، وفتح السائق بابه للصاعدين والهابطين ، فأخذت الصبية بيدي اخويها فنزلت ، واخذت السيدة بيد ابنها فنزلت ايضاً ، ومضى الاوتوبوس الى غايته فيما ألف ان يمضي آناء النهار واطراف الليل ، واقام الجميع ينتظرون مقدم الاوتوبوس الآخر .

والصبي الصغير ماض في التلذذ بحلواه ، وهو يُصَعِّدُ في الصبية واخويها نظرات فاحصة ، وكأن قد راعه منهم تلك الوساخةُ الشائعة في الايدي والارجل والوجوه ، وتلك القذارة البادية في الرؤوس المشعثة الشعر ، وكأن قد لفت نظره منهم بوجه خاص تلك الاحذيةُ المخرقة يدوسون بها ارجلهم وقد لوثها الطين تلويثاً كثيفاً ، حتى لتشبهَ الارض الغارقةَ بالوحل من حولها ...

اما هم ، فقد كانوا يصعّدون فيه — في المقابل — نظراتٍ مستطلعة ، فيها تهيُّبٌ وفيها حسد ... يصوبونها الى ثيابه النظيفة مرةً والى قبعته المائلة نحو اذنه مرةً ، والى حذائه اللامع النظيف مرات ، بل لعلهم كانوا يصوبونها اكثر واكثر الى تلك القطعةِ الشهية من الحلوى في يده ، وهو يقتطع منها بأسنانه في الحين بعد الحين شيئاً يلوكه في فمه على مهل ، ويتلذذ به تلذذاً قاصداً ... وكأنهم يودون لو ابتلعوا ريقهم في افواههم رغبةً وتشهياً ...

ومالت الاخت الصغيرة على اختها الصبية تجذبها من شعر رأسها ، لتهمس في اذنها ، وعيناها فوق يد الصبي الممسكة بقطعة الحلوى ، لا تكاد ان تتحولان عنها ، وقد ازداد فيهما بريق الرغبة ، واشتد فيهما تعبير الحرمان .. ولكن اختها تزجرها بضربة خفيفة مستخفية على وجهها ، وتقف حائلاً بينها وبين رؤية الصبي .

ويتدخل الاخ الصغير ، فيمسك باختيه ، ويقرب رأسيهما من رأسه ، ويسر اليهما شيئاً تنكره الصبية اول الامر ، ثم تنهاه عنه ، ثم تزجره فيه بشدة ، وهي تنصح له بالعدول عنه ، لان الطريق طويلة ولابد لهم من استقلال الاوتوبوس ، ولانهم اذا ابتاعوا قطعة من الحلوى بما لديهم من نقود كما يقترح الصغير ، فاقتسموها بينهم ، كان عليهم ان يقطعوا الطريق سيراً على الاقدام ، وقد يتأخرون ، فيصيبهم من ابيهم شر كبير ...

ولاحظت السيدة ما دار بين الاخ واختيه ، وادركت ما انطوى عليه تهامسهم ، فامسكت بكتف ابنها تضمه اليها كأنها تخشى عليه ان يصبح من ابناء الحرمان ، او كأنها تخاف عليه ان يتأثر بهذه النظرات النهمة تندُّ عن اعين الصغار ، فينظر هو الى ما بيد غيره من حلوى كما ينظرون ، وحينئذ تكون

فضيحة لها ولمظهرها الانيق ومكانتها بين الناس ...

وامتلأت عيناها الصافيتان عطفاً على هؤلاء الابرياء الثلاثة المحرومين ، فحولت وجهها عنهم ، كأنها تريد ان تدفع عنها مشهداً مؤذياً ...

ثم لمعت امامها فكرة .

ماذا عليها لو عرضت على الصبية شيئاً من نقود تبتاع به ثلاث قطع من الحلوى لها ولاختها واخيها ؟

أليست هيئتها وهيأة اخويها تدلان على انهم من ابناء هذه الطبقة الفقيرة المحرومة ؟

وهل يأبى فقراء صغار كهؤلاء عرضاً من هذا النوع يتيح لهم ان ينعموا بما ينعم به ابناء المستطيعين الذين لا يحرمون ابناءهم شيئاً من حلوى او فاكهة او غيرها مما يشتهون ؟

وفتحت مثبنتها ، واخرجت منها قطعة من النقود جعلتها بين اصبعيها ، واقتربت من الصبية ، وهمت ان تضعها في يدها ... ولكن الصبية اطرقت خجلاً ، وقد احمر وجهها وتكسرت نظراتها ، واعرضت عن السيدة كأنها تحاول ان تدفع عن نفسها شراً يحيق بها ...

وكلمتها السيدة بلطف وعطف وايناس ، وحاولت اقناعها ، ولكن الصبية اصرت على الرفض في تعفف مصطنع ... مما حمل السيدة على ان تعيد قطعة النقود الى مكانها ، وان تطلق من صدرها زفرة عميقة ، تودعها كل ما في قلبها من احساس ما بآلام الصغار المحرومين ...

والتزمت موقفها تداعب شعر ابنها في اسى وحنان ...

اما الاخ واخته الصغرى ، فقد ألصقا رأساً برأس ، وراحا يتهامسان ، وكأنهما ينعيان على اختهما الصبية تفويت هذه الفرصة الفضية عليها وعليها ...

ولأمر ما ، تعثرت قدم الصبي ، وكاد يسقط على الارض لولا ان تشبث برداء امه ، فتماسك ، بعد ان طارت قطعة الحلوى الباقية من يده ، وتدحرجت على الطين حتى وصلت قريباً من الصبية واخويها ، فلم يأبه لها ، بل مد يده الى جيبه ، واخرج منه منديلاً ، مسح به يده من اثر الحلوى ، رغم انها كانت ملفوفة بورقة شفافة لامعة ...

وما كاد الاخ الصغير يرى قطعة الحلوى ملقاة قريباً منه وقد زالت عنها الورقة الشفافة ، حتى قفز اليها كالقط الجائع ، وتناولها بمجمع قبضته ، وهم ان يضعها في فمه مرة واحدة ، لو لم تسرع اخته الصبية اليه فتأخذها منه ، وتبعدها عن متناول يده ، وهو ينازعها اياها ، ويدور حولها ، ويدفعها ، ويتوسل اليها أن تردها اليه ، واخته الاخرى تضربه بكفها على رأسه ورقبته ضربات متلاحقة ، لتبعده عن اختها ، ولكنه لا يأبه لما يلقى من الضرب ، بل يمضي في محاولة الوصول الى قطعة الحلوى علة يختطفها من يد اخته اختطافاً ويحشوبها فمه قبل ان تتمكن اخته من صرفه عما يريد .

ولما يئست الصبية من رده الى الهدوء ، دفعته دفعة قوية اسقطته على الارض ، ثم استدارت جهة الجدار ، وجمعت ظهرها كله جمعاً ، وقوسته ، واكبت به فوق يديها كأنها تحمي نفسها من هجمات اخيها ، او تحمي قطعة الحلوى من ان يختطفها اخوها فيستأثر بها لنفسه من دونها ودون اختها ...

ولما امنت جانبه بعد ان نهض من سقطته ، همت بقطعة الحلوى فقسمتها اقساماً ثلاثة ، اعطت الصغير احدها فأسرع به الى فمه ، واعطت الآخر اختها فازدردته ازدراداً ، واستبقت الثالث في يدها ، ونظرت يمنة ويسرة ثم قذفت به في حلقها ، وابتلعته ...

وكان رجل واقفاً ينتظر الاوتوبوس ، وقد رأى امامه ما حدث ، فالتفت الى الصغيرة وقال لها في اسى وحنان :

— لو نظفتها من الطين يا بنتي ، ثم تأكلينها ...

فأطرقت في ذل ، والتصقت بأختها كأنها تريد ان تهرب من سوط كوى ظهرها ؟

وسقطت دمعتان على وجه السيدة ، فسعت اليها بمنديلها الحريري الصغير تلتقطها ، ثم ضمت اليها ابنها في خوف وحنان ...

اما الاخ الصغير فقد شاع في وجهه فرح ضاحك ، فمسح فمه بظاهر كفه ، وراح يغني ، ويضرب الارض بقدميه ، وكأن بطنه امتلأ بما كان يشتهي ...

ووصل الاوتوبوس ، وابتلع في جوفه كل من كان ينتظره على الموقف ، ثم مضى الى وجهته مضيه المعتاد آناء النهار واطراف الليل .

حلب — فؤاد الرفاعي

ادنى الى القلب

وألممتُ بتراخٍ ثوب مبسمها … وأغمضت ، ومشت سكرى الى قلبي
فلم أدعْ فيها خمراً ولا عسلا … زقّين من عندم اشهى من الحب
وكلما عضعضتْ منها مراشفَها … سال الشراب ولا أروى من الشرب
حتى إذا فنيت روحي على فمها … فأسكرتها ؛ وهل في السكر من ذنب ؟
ساءلتُها ، وهي غرقى في لذاذتها : … أي السبيلين أحلى في الفم العذب ؟
قالت : اليك ، فذوّب نار خمرهما … وذقْ ؛ فيا لك من صبّ على صب
فعدتُ للحان أحسو من لمى شفة … مسكاً ، ومن عنبر الأخرى ندىً يصبي
واذ رويتُ ، نزعت الثغر منتشياً … وقلت ، والثغر مني كالنوى الرطب :
أحلاهما الشفة السفلى ، أحرّهما .. … ما السر ، يا نفحة الايمان والريب ؟
قالت تذكرني واستضحكتْ جزلا : … السر في انها ادنى الى القلب ...

حلب … زهير الموصلي المحامي

كأس وقبل

مشيت وفي اشتياق إليه … وقد كنت أرجو الجلوس لديه
ورحت أراقبه من بعيد … وقلبي يذوب حناناً عليه
دخلت الديار وكان بها … مضيئاً يُرى النور في بردتيه
ورحت أقبّل أرض الديار … فقد لامست واحتوت ركبتيه
وأمسح وجهي بجدرانها … فقد نورت من ضيا مقلتيه
جلست لديه على مقعد … نما النور والعطر في جانبيه
وقد غرت منه فكم قد حواه … وكم شرب النور من راحتيه
بكيت لعل الدموع تسيل … فتلثم عنيَ يوماً يديه
وغاب فأحضرها خمرة … بها ذبت والقلب في ناظريه
ولم أرتشفها ورحت أحاول … أن أرشف الطلّ من وجنتيه
فأعرض عني ولكنّه … رمى نفسه ورماني إليه
وغبت عن الكون في قبلة … بدا الكون فيها على شفتيه

نابلس … حكم الناسم

مكتبة الاديب

المطرب في أشعار أهل المغرب

تأليف : ابن دحية الكلبي – تحقيق : مصطفى عوض الكريم – ٢٦٧ صفحة – حجم كبير – مطبوعات جامعة الخرطوم مطبعة مصر بالخرطوم

مؤلف هذا الكتاب ، ابو الخطاب ابن دحية الكلبي ، محدث اندلسي ، ظاهري المذهب ، روى ببلده وتنقل بين بلدان شمال افريقية ومصر والحجاز وغزة ودمشق والعراق وفارس راوياً مستجيزاً ، وفي كل بلد لقن جماعة وروى كتباً بأعيانها، ففي العراق روى مسند الامام احمد ، وباصبهان معجم الطبراني وبنيسابور صحيح مسلم وهكذا . ثم اقام في مصر ، حيث رحب به الملك الكامل الايوبي ، وبنى له دار الحديث ليعلم فيها ، ولكنه لم يكن يخلو على سعة علمه من شذوذ وتطرف ، ولقد كان شكساً جدلاً متزيداً في الرواية ، متلصصاً على اشعار غيره ، مستهتراً ببعض القيم التي يقدرها المحدث الصدوق، ثلاباً طويل اللسان ولذلك لجت الخصومة بينه وبين علماء المشارقة ومن امثلة ذلك ما رواه سبط ابن الجوزي في تاريخه فقال : « وكان قدم دمشق وسأل الوزير ابن شكر ان يجمع بينه وبين شيخنا تاج الدين [الكندي] فاجتمعا وتناظرا وجرى بينهما البحث في قول العرب : لقيته من وراء وراء ، فقال ابن دحية : لا يقال وراء بالرفع ، بل بالنصب ، فقال تاج الدين اخطأت بل الصحيح وراء بالرفع ، فسفه علـى شيخنا تاج الدين ... الخ » . (مرآة الزمان : ٦٩٨) .

ولم يكتب ابن دحية ، فيما يبدو ، كتباً ادبية خلا كتاب المطرب الذي ألفه الملك الكامل ليثبت للمشارقة تفوق الاندلسيين في مضمار الشعر . وقد قام بتحقيق هـذا الكتاب الاستاذ مصطفى عوض الكريم احد اساتذة الادب العربي بجامعة الخرطوم ، وكتب له مقدمة درس فيها المؤلف وكتابه ، وعلق عليه تعليقات مفيدة وضحت كثيراً من نواحي الايجاز والسهو والابهام ، وألحق به فهرستاً للأعلام وابيات الشعر . والكتاب واحد من سلسلة من الكتب التي يقوم اساتذة قسم اللغة العربية بجامعـة الخرطوم بالعمل على تحقيقها وتتولى الجامعة طبعها تشجيعاً للبحث العلمي وحباً في احياء الكتب القديمة القيمة .

وقـد بذل الاستاذ مصطفى من الجهد في تحري الدقة واستطلاع المراجع ، وتعديل الاضطراب ما يشهد له بالصبر والهدوء العلمي وبعمله هذا اضاف الى المكتبة الاندلسية كتاباً قيماً .

على اني مع اعجابي بكل هذا الجهد المخلص ارجو ان يتقبل مني الاستاذ المحقق بعض الملاحظ التي عرضت لي اثناء نظري في كتاب المطرب، ومنها طريقته في تصحيح الاعلام التي كتبت خطأ في المتن ، فهو يكتب الوجه الصائب منها في الهامش دون ان يشير الى ذلك ، احياناً ، وهذا غير مأمون لان المطبعة قد تحدث خطأ جديداً ، وينبهم على القارىء اي الوجهين هو الصحيح . وهنالك بعض شروح لا اوافق الاستاذ المحقق عليها منها شرحه لكلمة « تمالط الشعراء » (ص ٨) بمعنى : تخالط ، والصواب ان تمالط معناهـا تقول نصف بيت فيتمه شاعر آخر . وكذلك قوله (ص ٤٥) « سأقرن بالتمويل ذكرك » ان التمويل اتخاذ المال، والصحيح ان التمويل هو المخاطبة بكلمة « مولاي » .

وقد استشكل الاستاذ (ص ٩) على قول المؤلف « ويتهالك افراد الشعراء » ورجح ان تكون « أفذاذ » ولا داعي لهذا الاستشكال ، لتشابه المعنى باللفظتين . وتوقف عند كلمة « وكفت » في قـول المؤلف (ص ١٦٧) « أنزله المتوكل على الله بدار وكفت عليه » . ومعنى وكفت : تسرب الماء من سقفها . وكذلك توقف عند قوله (ص ١٣٢) : وانحفل المجوس لرؤيتهم وصوابها « وانجفل » بالمعجمة .

ومن الترجيحات التي تحتاج شيئاً من التأمل قوله (ص ١٨) ان ابا بكر ابن اللبانة هو ابو بكر بن عبد الصمد . وهما فيما تحدده المصادر المختلفة شاعران متمايزان ، وان اشتركا في رثاء المعتمد بن عباد ، والثاني منهما هو صاحب القصيدة التي مطلعها « ملك الملوك أسامع فأنادي » ولعل الاستاذ انما اعتمد في هذا الترجيح على مصدر واحد ، هو نهاية الارب ولم يأخذ بما في المصادر الاخرى .

وعندما وقف المحقق على قول لسان الدين في حفصة بنت الحاج (ص ١٨): « وذكرها الاستاذ في صلته» قال: انه لم يعثر على ذكره للشاعرة حفصة في كتاب الصلة لابن بشكوال. واعتقد ان هذا من قبيل السهو والا فانه يعلم جيداً ان الكتاب المشار اليه هنـا هو « صلة الصلة » وان كلمة « الاستاذ » لقب لابن الزبير مؤلف ذلك الكتاب . ومن قبيل السهو الذي لا يسلم منه انسان ايضاً تعريفه بمدينة سالم (ص ٤٧) ونقله عن ياقوت ان طارق بن زياد خربها . غير ان ما في معجم البلدان نصاً هو « وكان طارق لما افتتح الاندلس ألفاها خراباً ، فعمرت في الاسلام » . وبين النقل والنص فرق واضح . ومن هذا ايضاً قوله في ابن رشيق (ص ٥٩) « وانتقل بعد خرابها الى صقلية سنة ٤٦٣ » وابن رشيق توفي في هذا العام المذكور ، اما هجرته الى صقلية فكانت سنة ٤٥٦ هـ .

وهنالك نصان يمكن تصحيحها بعرضها على المراجع : الاول (ص ٩) « قال ذو النسبين : كانت الحسيبة ولادة في زمانها واحدة اوانها » فانه نص ناقص في المطرب ، منقطع في بعض اجزائه (ص ١٠) وبمراجعة الذخيرة (١ / ١ : ٣٧٦ – ٣٧٧) يمكن تصحيح هذا النص واكمال ما فيه من نقص . اما الثاني فهو قول القلعي : (ص ٥٩) .

عـاكر مثل الطرف إن خفن ضلة ... أضاء لها ليل الحديد المذوب

ففي البيت غلطتان تصححها رواية الوافي للصفدي: الاولى : ماء الطرف بدلاً من «مثل الطرق» والثانية « صبح الحديد » في موضع «ليل الحديد».

هذا الى اخطاء مطبعية كثيرة تركت لحصافة القارىء ولم ينبه عليها في جدول التصحيحات .

ولست اعتقد ان هذه الملاحظ تغض من قيمة الكتاب او من قيمة الجهد المبذول فيه ، او تطمس من محاسنه ؛ واني لارجو ان ينتفع به القراء والدارسون .

جامعة الخرطوم **احسان عباس**

عشرون عاماً

لكوليت سهيل – مجموعة شعرية باللغة الفرنسية – ١٢٠ صفحة – مطابع دار الكتب بيروت

Vingt Ans - poèmes - Colette Souheil - 120 pages - Imprimerie « Dar El Kotob » Beyrouth

اسمح الشاعرة والقارىء عذراً ان انا لم استشهد في نقدي لهذا الديوان ببعض قصائد منه او على الاقل ببعض ابيات من هذه القصائد . ذلك لانني اؤمن كالشاعر الكبير بول فاليري بان الشعر الجميل لا ينقل من لغة الى لغة ، وبان نقله او ترجمته تشويه له وسلب لاجمل عنصر فيه وهو الموسيقا ... فما على القارىء الا الرجوع الى الديوان ليقرأه بلغته الاصلية ، واحسب انه سيوافقني على رأيي .

* * *

عشرون لحناً او عشرون زهرة او عشرون دمعة او عشرون ذكرى.. تلك هي باقة القصائد الناضرة التي ضمتها زهرية هذا الديوان الصغير الانيق الذي قدمته الينا مؤخراً الشاعرة السيدة كوليت سهيل الخوري باللغة الفرنسية تحت عنوان « عشرون عاماً » Vingt Ans .

توجت الشاعرة ديوانها بكلمة اهداء حلوة وعميقة .

الى من علمني ان الحياة فن ، وان الفن هو ان يعرف الانسان كيف يعيش ... الى ابي .

ثم بررت نظمها للشعر في الصفحة التالية ، فسألت القارىء ، في براءة وانوثة وسذاجة ، فيما اذا كان عملها يعتبر جريمة ان هي حاولت ان تجعل من الحب اغنية عذبة ، ومن الحياة شعراً جميلاً ؟

وفي القصيدة الاولى (لو) – التي اعتبرها شبه مقدمة شعرية للديوان – تكمل الشاعرة مدلول فكرتها هذه ، فترثي للناس المساكين الذين لا يستطيعون تفهمها كشاعرة... هؤلاء الناس الذين لو كانت لديهم قلوب تخفق للجمال ، وعواطف تنفعل بالحب، ومشاعر تبسم للألم ، وعزائم تستضيء بنور الامل ، وافكار تسمو الى الاكمل الاحسن ... لو كانت لديهم قلوب وعقول تتوافق وتترافق في البحث عن السعادة ، اذن لما قالوا عنها بهذه اللهجة الساخرة (انها تنظم الشعر ، وانها امرأة رومانتية) .

ان الشاعرة في هذه المقدمة تعبر عن المأساة الخالدة للانسان الفنان (او بالاحرى للانسانة الفنانة) في كل عصر ومصر ، ولا سيما في عصرنا الراهن وفي شرقنا العربي بالذات ، فتشكو من جهل مجتمعها وتنكره لرسالتها الخالقة المبدعة . ولكنها ، مع ذلك ، مؤمنة ايماناً عميقاً بهذه الرسالة ، واثقة ثقة لا تحد بفنها ، وبعظمة الفنان ، وبان ارواح الفنانين اقوى من الرياح والعواصف والموت... وبأن قلوبهم تظل ابداً فتية مضيئة تنير طريق الحياة الصاعدة امام الانسانية رغم كل المصاعب والآلام والظلمات (انظر في الطائرة ص ١١٨) .

* * *

يرى الشاعر المعاصر بيير جان جوف ان اللغة الشعرية يجب ان تكون غناء صرفاً . ولقد سبقه فيرلين حين قال : « ان هدف الشاعر الاول انما هو البحث عن الموسيقا – الموسيقا قبل اي شيء آخر » . فاذا كنت من رأيها ، واذا كنت ممن يستهويهم الشعر النسائي العاطفي الرقيق ، فانك واجد بغيتك في هذه القصائد الصادحة .

تعزف الشاعرة على قيثارة روحها الفتية فكأنها أورفيه يوقع الالحان الشجية على معزفه الاسطوري الشهير ، او كأنها شوبان يعزف بعض الحانه الحزينة على البيان . ولا شك بأن ثقافة الشاعرة الموسيقية وحسن عزفها على هذه الآلة ، اكبر الاثر في إرهاف ذوقها الشعري ، وفي تكييف مقدرتها على انتقاء الالفاظ والقوافي المنغمة... والحق ان الموسيقا في هذا الديوان تسبي وتأسر وتخدر ... كل قصيدة فيه اغنية ميلوديا فالاوزان منسرحة لطيفة ، والالفاظ سهلة خفيفة ، والقوافي غنية هتوفة ... وتنساب هذه الاغاني غدران توجد وشوق وحنان في لغة سليمة سلسة رقيقة فيها مشابه وملامح من لغة ده نواي ولامارتين – اقرأ مثلاً قصيدتيّ بلودان وفكر فيّ وقارنها بقصيدة الوادي لهذا الشاعر ... وفيها تنهدات محرقة من اشواق موسيه في قصيدته الذكرى وفي لياليه الخالدة ... وفيها عبق وتوله وسويداء من اجواء فيرلين وبودلير ... واجزم انها تأثرت بهؤلاء الشعراء الخمسة في التعبير عن خلجات قلبها ، والافصاح عن مكنونات صدرها ، وتصوير مناظر شاعريتها... فسالت على لهاة قلمها الفاظ رومانتية كالكآبة والقدر والذكرى والسعادة واللانهاية والخلود وإله النور ... وانغمست ريشتها في بعض الوان المدرسة الرمزية ، فاذا على لوحاتها منها اضواء وظلال متشابكة كالقلق والضجر والتشاؤم والصلاة الملتهبة واللازورد الاسود والنجوم المغنية ...

وليس بضير الشاعرة ان تكون قد تأثرت بهؤلاء ، اذ لا بد لكل شاعر ناشىء من ان ينسج ، في بواكير انتاجه ، على منوال واحد او اكثر من الاعلام . هذا الى ان كوليت قد استطاعت ان تسم بعض قصائدها بطابع شخصي متميز ، واصالة فنية محببة .

* * *

عبرت كوليت في بعض قصائدها (انظر رسالة ص ١٠٤ وبصورة خاصة حكاية دفتر ص ٧٨) تعبيراً صادقاً عما تعانيه من قلق وضجر وظمأ وحرمان وشك وحيرة وفراغ ... فكأنها لسان حال كل مثقف واع في اجيال ما بين الحربين العالميتين ، وفي جيلنا الصاعد . أليست هي نفسها من هذا الجيل المصاب بمرض القرن العشرين او مرض العصر ...؟ وها هو شراع حياتها شارد ضائع تتقاذفه الرياح والانواء في خضم الغربة الروحية

التي تشعر بها كل نفس حساسة مفكرة في هذا الكون ، والتي وفق الكاتب الانكليزي كولن ويلسن الى تصويرها بدقة آسرة في كتابه الرائع الغريب The Outsider (١) ... انها تشعر انها وحيدة (وحدة الآله) كما يقول الشاعر الفرنسي ادمون هارو كور ... وحيدة وحدة روكنتان في رواية الغثيان لجان بول سارتر . ولكن بطل سارتر قد نجا من العزلة حين وجد ذاته التائهة في الفن – اي فن ..؟ – الفن الذي يحيل فوضى الحياة الى منطق سليم ونظام قويم ! (٢) اما كوليت فهل نجت ، يا ترى ، من غربتها الروحية ، وما هو المنفذ الذي وجدته للخروج من سجن هـــذه الغربة رغم شعورها بأنها «شيء صغير في هذا الكون الكبير ، وان هدف الحياة الالم والعذاب » (انظر السماء تمطر ص ٧٠) .

لقد خيل اليها ان نسيان هذه الغربة ، واجتلاء جمال الحياة ، انمـــا يتأتيان لها في اغراق وجودها الحائر في نشوة السكر (انظر سكرة ص ٩٢ ، والفالسات السوداء ص ١١٠) . ولماذا لا تسكر ..؟ ألم يدعُ بودلير في قصيدته النثرية (اسكر) الى الخدر والنشوة هرباً من قيود الزمان والمكان وتخلصاً من كابوس الضجر وقبح الواقع ...؟ ألم يكن المهم لديه ان يسكر الانسان كما يريد بالخمر او بالفضيلة او بالفن شريطة ان يظل سكران ابداً ...؟ انها مثل بودلير ، ولكنها كليهما يكتشفان بعد ذلك ان السكر ما هو الا خدر لا جدوى فيه، واوهام لا طائل وراءها (انظر آخر سكرة) .

وهكذا تفيق الشاعرة من سكرتها لتجد ان خير ما تفعله هو اللجوء الى براق العاطفة تمتطيه بحثاً عن مغامرة غرامية جديدة تملأ بها هذا الفراغ المرعب ، وتنسى بها خيبة هواها الاول ، وذكريات مغامرتهـــا السابقة (انظر واقعية ص ٧٤) . وهكذا يخيل اليها انها قد وجدت طريق الخلاص في الحب (مقال ص ٨٤) هذا الحب الذي يعجبني من الشاعرة انها تحياه دائماً بكل قلبها وفكرها ودمها وعروقها ، وانها تزينه بـــه بانوثتها الناعمة ، ورقتها الجذابة ، وحنوها المغرق، وعطائها السخي (انظر عشرون عاماً ص ١١٤ وهدية صغيرة ص ٤٢) وهي هدية لا يمكن ان تقدمها بمثل هـــذا العطف والحنان الا امرأة شاعرة . وهي من اروع قصائد الديوان .

ولكن أصحيح انها ملأت كأس حياتها بالحب وانتهت مشكلة القلق والضجر والفراغ بالنسبة اليها ...؟ إني لا ازال اشك في ذلك . ففي قصيدة (هربت ص ٨٨) تعود الى الوقوع في الحيرة ... – او تعرف اية حيرة هي في هذه المرة ...؟ – انها حيرة الحب، نعمة الحياة الكبرى ، ومنارة السلامة التي آمنت بضوئها الساطع الهادي . انها الان تخاف من الطريق الذي يقودها قلبها فيه ، وتخـــاف من نظرات الحبيب الغريبة الملتمعة في الليل ، وتخاف من مخدع الحب ، ومن نار الغرام ، ومن الامل الذي كانت ترجو ان يوصلها الى واحة السعادة ... وهذا الخوف يدعوها الى الفرار والاختباء في الظلام ، ظلام الوحدة والعزلة والانكماش ... واذا بها تعجز عن ايجاد منفذ للخلاص فتعود الى دوقمة القلق والضجر والفراغ ، الى بداية المشكلة . وهكذا تبدو لنا كوليت في ترددهـــا وحيرتها صورة حية (لحواء) التي تريد ولكنها لا تعرف ما تريد .

وخاصة اخرى في شعرها هي هذه الدموع التي تندّي بها كل قصيدة من قصائدها تقريباً ، انها تتفق في ذلك مع الشاعرات القريبات المعاصرات كنازك الملائكة وفدوى طوقان وصفية ابو شادي وجليلة رضا وغيرهن.. ففي يهيم الحزن والكآبة والاسى الرمادية والسوداء تشوه زرقـــة آفاقهن الشعرية المتألقة ، وانغام النواح والنحيب والحسرات والزفرات تعكر اجواء هياكلهن الفنية التي ارتفع معظمها على قمة جبل الشعر ... على ان كوليت تتميز منهن بدقة تصويرها لمشاعر المرأة المختلفة : من حب حنون . الى غرام عنيف ، الى رغبة عاصفة ، الى غيرة عمياء ، الى كراهية طاغية.. الخ ... كما تتميز منهن بجرأتها وصراحتها في بث عواطفهـــا المشبوبة . والافضاء بأشواقها المحمومة العارمة (انظر سكرة واليك عني ص ٩٨) . وبهذا ذهبت ابعد منهن في شق الطريق امام المرأة العربية للتحرر من التقاليد البالية في مجتمع لا يزال يتخبط في مستنقعات الرجعية والتزمت والجهل والظلام ، وبهذا دعت مثلهن الى كسر القيود التي تكبل المرأة وتمنعها من التعبير عن آرائها بصراحة ، والافصاح عن خلجات قلبها ونزعات روحها دون خوف او حذر ... على ان ذلك لا ينفي عن شعرها الصبغة الذاتية الفردية (صبغة الأنا) . ان هذا الشعر لا يخرج عن كونه تجارب شخصية منبعها انفعالات عاطفية محدودة العمق ، محدودة الانطلاق ، بالرغم من واقعية القصائد الخمس الاخيرة ولا سيما قصيدة (اليك عني ص ٩٨) وهي قصة الفتاة التي تكتشف ان المحبوب قد خدعهـــا بعهوده المعسولة ووعوده المخملية ، فتثور وتصب عليه بركان غضبها وكراهيتها . وهي من اجمل قصائد الديوان .

* * *

كان اندريه جيد في كتابه الاغذية الارضية يدعو بطله الى الحرارة في الاحساس والتفكير والكتابة . وكان اوسكار وايلد يحب الاخلاص في التعبير (انظر اقصوصته الشهيرة الوردة الحمراء) . مثل هذه الحرارة ، ومثل هذا الاخلاص تجدهما معاً في شعر كوليت .

على ان لنا مآخذ على هذا الشعر : فجناح الخيال عند صاحبته لا يرتفع عالياً كما يرتفع جناح الخيال عند امثال عمر ابي ريشة او نزار قباني او نازك الملائكة او بودلير ... (هذا مع اعتقادنا بأنه ليس من الضروري ان يكون الانسان شاعراً كبيراً لكي يكون ذا خيال واسع خصيب) ... ثم هناك مشكلة الالفاظ والمعاني التي تتكرر نفسها في معظم القصائد، فتورث الملل في نفس القارىء كألفـــاظ الحب والذكرى والسعادة والزمن ... وكمعاني الاستسلام الى القدر والتشاؤم والخوف من هروب الايام ومن اقتراب شبح الشيخوخة المرعب ، والتحسر على الماضي ... (انظر قصائد كل شيء يمضي ص ٢٠ ، تعـــال ص ٨٤ ، الفالسات السوداء ص ١١٠ ، الاسطوانة القديمة ص ٥٤ السماء تمطر ص ٧٠ ... الخ ...) وفي رأينا كان يجدر بالشاعرة ان تعيد النظر مراراً في قصائدها قبل ان تدفع بهـــا الى الطبع .

ومهما يكن ، فاننا نحث القارىء على اقتناء هذا الديوان الثمين ، ففيه جمالات لا تحصى ... متمنين على الشاعرة ان تتحفنا قريباً بديوانها الثاني باللغة العربية ، فقد نمي الينا ان نظمها بلغتنا لا يقل روعة عن نظمها بلغـــة بودلير ولامارتين .

دمشق — كمال فوزي الشرابي

١ – انظر ، بهذه المناسبة ، التحليل القيم الذي كتبه الاديب المثقف الاستاذ جبرا ابراهيم جبرا عن هذا الكتاب في مجلة اهل النفط، عدد ايلول ١٩٥٧ .

٢ – هذا مع العلم بان بطل سارتر لا يلبث ان يعود ، في نهاية القصة ، الى حالته السابقة .

دراسات في الفلسفة الاسلامية

تأليف ابو الوفا الغنيمي التفتازاني مدرس الفلسفة الاسلامية بجامعة القاهرة — ١٩٦ صفحة — حجم كبير — منشورات مكتبة القاهرة الحديثة — طبع دار الحمامي بالقاهرة

ابو الوفا التفتازاني دارس متعمق ، وباحث ضليع ، يمتاز بمنهجه العلمي في الدراسة ، وبالتخصص والاستقصاء وحسن الافادة من المراجع فيما يؤلفه ويكتبه .

وهو في هذا الكتاب يتحرى ، ما وسعه الجهد ، ويقدم بين يدي آرائه الادلة والمصادر والآراء المختلفة ، وقد أفاد من عديد الكتب العربية والافرنجية من بحوث الكتاب .

كل ذلك في تواضع جم ، ونقاش رزين ، وتفكير ناضج ، وإحاطة مستوعبة .

ويعرض المؤلف في الكتاب لعلم الكلام الاسلامي ونشأته ومنهجه ، وتأثيره بالفلسفة ، والفرق المتكلمين المختلفة من : خوارج وشيعة وإمامية وسبئية وإثناعشرية وإسماعيلية وزيدية ومعتزلة وأشاعرة ثم يعرض بعض المشكلات الاسلامية التي تناولها علماء الكلام بالبحث ، ومن بينها : مشكلة الذات والصفات ، والتشبيه والتجسيم ، ونفي الصفات ، وإثبات الصفات ، ومشكلة الجبر والاختيار ، ومشكلة السمع والعقل .

ثم يتناول علم اصول الفقه بالدراسة ، فيتحدث عن نشأته وتطوره وموضوعه وغايته ، وصلته بالبحوث العقلية .

ويبحث في التصوف الاسلامي ، فيعرض : لسيكولوجية التصوف ، وللادراك المباشر عند الصوفية ، والمعرفة الصوفية ، وغيرها من البحوث من حسن عرض ومناقشة واستدلال .

ويعرض في القسم الاخير لبحوث متفرقة في الاخلاق والتصوف ، ومما عرض له ذو النون المصري والهيروغليفية وفكرة الوقت عند الصوفية ، وهي كلها بحوث جديدة ، تدل على عقل خصب ، وذهن ثاقب ، وإدراك عميق .

ويقول ابو الوفا في مقدمة الكتاب : « نحن في هذا الكتاب نمهد لدراسة الفلسفة الاسلامية ، ونحاول ان نرسم صوراً عامة لمجالاتها المختلفة ، وقد قصدنا اساساً لدراسة الافكار الاسلامية في مختلف العصور دراسة مقارنة » .

ومن الجدير بالذكر ان هذا الكتاب وقف على دراسة الفكر الفلسفي في الاسلام في مجال الشرعيات لا في مجال العقليات .

وبهذا الكتاب يسدي المؤلف للدراسات الاسلامية ، ولطلاب المعرفة يداً لا تنسى .

ولا يفوتنا ان المؤلف يدرك هذه الفلسفة الاسلامية بذوقه وبفكره جميعاً ، فهو من اسرة عريقة في الاصلاح الديني ، ومن ثم فقد ورث عن والده الكبير الامام التفتازاني المتوفي عام ١٩٣٦ روح العقيدة الدينية صافية مهذبة نقية ، وزاد اطلاعه وثقافته من نمو التفكير الفلسفي الاسلامي في عقله .

ولا يسعني الا ان اهنئ المؤلف بهذا الكتاب الدسم ، واتمنى ان يبسط هذه الآراء المجملة بسطاً كثيراً في بحوث جديدة .

القاهرة — **محمد عبد المنعم خفاجي**

بين القصرين — قصر الشوق — السكرية

لنجيب محفوظ — رواية في ثلاثة اجزاء — دار مصر للطباعة بالقاهرة

نجيب محفوظ قاص مو هوب ، واسع الثقافة الفنية ، مطلع على دقائق القصة ، وله باع طويل في مجالات الرواية والتأليف القصصي .. قرأ ديكارت وشوبنهور وليبنتز وسبينوزا في حياته التعليمية ، ونال قسطاً من نجوى الفلاسفة واحاديث المناطقة ؛ فقد تخرج في الفلسفة واجتمعت له في كتاباته ما في الفلسفة من روح الدقة في الاحكام وما في الادب من فنية عبارة ، وامارة خصب ، وبراعة تصوير . عرفناه في بداية حياته الادبية قصصياً يكتب في مجلة (الرواية) التي اصدرها الزيات قبل ان ترى الرسالة النور . وكان اوانذاك منشغلاً بكتابة القصة القصيرة ، التي لم تزل حديثة العهد على لغة الضاد وكتابها يعدون على اصابع اليد ، غير ان محفوظ وجد ان القصة القصيرة لا تفي بجميع ما يود ان يسطره على القرطاس من حالات النفس واعمال الوجود وغزارة المواد البيئية ؛ لذلك عمد الى كتابة الروايات الطويلة ووجد في ممارستها ضالته المنشودة ، وما عتم ان اخرج لنا روايات تعد مفخرة في بابها ؛ مزج فيها تاريخ مصر القديم بمعاني العصر الحديث والبس الميثولوجيا حلة واقعية جديدة ، و « رادوبيس » و « عبث الاقدار » و « كفاح طيبة » : امثلة طيبة لهذا المجهود التأليفي الذي مارسه القاص نجيب . وفي وعينا ان الرواية التاريخية اول عمل ادبي قصصي جدي مارسه كتابنا العرب .

ولعل زيدان ومحمد فريد ابو حديد وعادل كامل ونجيب محفوظ يكونون الطليعة الحميدة في كتابة الرواية التاريخية ، وقد نقل لنا زيدان حكايات التاريخ الدفينة نقلاً خالطه خيال ممرع ، فجاء التاريخ في قصصه سهلاً ماتعاً . ثم ازدادت الرواية وثوباً وتقدماً على يد ابي حديد . فان هذا الكاتب يعتبر بحق روائياً من الطراز الاول . ولا حاجة بنا الى ذكر محفوظ فقد توفر على استبطان التاريخ الفرعوني وجمل رواياته بخيال رقيق وموضوعية تاريخية واخلاص في التعبير ... ولكن محفوظ هجر الكتابة في الرواية التاريخية ، ومال ، طائعاً مختاراً ، الى مزاولة القصص العصرية ، فطلع على القراء بكتب تزخر بافاعيل الحياة المصرية وما يكتنفها من عادات وتقاليد واخلاق متوارثة ... فصور الاوضاع المحليه ، التي تفرزها ؛ بصدق وعفوية ، حارات مصر القديمة وازقتها العتيقة البالية ، تصويراً حافلاً بالفهم والتمحيص والاحاطة . وخلد في قصصه « خان الخليلي » و « زقاق المدق » ، مشاهد الحياة المصرية بما فيها من انعزالية وسذاجة وقسمات مثقلة بالهموم والخيبة والمشاعر البريئة .

وكان آخر ما سجلته براعة هـذا القاص الموهوب قصته المطولة « بين القصرين » ... تنتظم هـذه الرواية ثلاثة اجزاء هي « بين القصرين » و« قصر الشوق » و « السكرية » وكلها ذات ارتباطات موضوعية واحدة ، وتشكل مؤلفاً موحداً وعملاً ادبياً فخماً ... الرواية لا تبتعد عن الطريقة التي سار عليها القاص في كتابه خان الخليـلي وزقاق المدق ، مع فرق واحـد ، هو ان اسلوب قصة خان الخليلي ، اسلوب سهل مبسط ، الزم محفوظ نفسه على السير فيه ، ولكنه عاد الى اسلوبه الذي يميزه عن غيره من الكتاب ، ذلك الاسلوب المتين الذي اتبعـه في كتابه زقاق المدق ثم عادوا تبعه مرة اخرى في رواية « بين القصرين » ... واسلوب محفوظ يتصف بطول النفس ، ونحت العبـارات الصحيحة ؛ يحرص على التزام الفصحى ويعقد الحوار الشعبي ، عـلى نحو فصيح سهل ، لكي لا يسيء الى مجرى الرواية ويجرفها الى مستويات العاميـة كما يفعل الكتاب الآخرون . ويرى بعضهم ان اسلوبه هـذا ينبو عن طواعية العامية وطبيعتها ، ولكننا نرى على العكس ؛ فـلامة عباراته وفصاحتها المتينة كفيلة بأن تشيد متانة البناء التصويري للأثر الأدبي الحي . نجيب محفوظ ، هنا ، في هــذا الأثر الأدبي المتين ، يؤكد ، بذكاء وفطنة ، جدارة الاسلوب الفني الخاص ، الذي يميز كاتباً عن آخر ...

وبين القصرين ، غزيرة في محتواها الموضوعي ، تصور حيـاة اسرة متوسطة الحال ، وتطورها خلال حقبة من الزمن تزيد على النصف قرن . ومحفوظ مولع بالكتابة عن نماذج هذه الطبقة ، وطبيعة اخلاقها وعلاقاتها الاجتماعية . فحين تقرأ القصة ، تحس احساساً غريباً نحو النماذج التي تتحرك في اطارها ، وتنقل الطرف بين حياة الاجداد الى حياة الابناء والاحفاد وتلمس التوترات الزمنية التي تتكشف عنها هذه المجتمعات التي احتواها بين القصرين وقصر الشوق والسكرية . وتتركز القصة على اسرة السيد احمد عبد الجواد ذلك الأب الذي جمع الى سطوة رب الاسرة ، حب ملازمة الطيش ومعاقرة الخمرة ومزاولة الفسق في الخفـاء . وتشعر بتعاطف مع زوجته امينة ، المطيعة المؤمنة كايمان العجائز ؛ وتكبر لها هذه التضحية من اجل اسعاد الابناء والامتثال لجبروت الزوج الشديد البأس على اهله وذويه ... وتنظر الى حياة عبد الجواد ، فاذا هو في دكانه مع وكيله جميل الحمزاوي ، تشغلها معاملات البيع والشراء واعمال الكسب ما وضح النهار ، حتى اذا ارخى الليل سدوله ، تقلب عبد الجواد واصحابه في مرابع الشرب والمنادمة ، ويرمي الكاتب من وراء كل ذلك الى اظهار مدى الازدواجية في حياة هذا الزوج العريق العادات ، وتأثير هذه الازدواجية على حياة الابناء وطبعهم بسيرة ابيهم ؛ يظهرون الجد والطاعة في حضرة الاب ، وتفترق بهم السبل في خارج البيت ، من جلوس في مقهى او معاقرة الشراب والركض وراء دوافع الجنس والفسق .

وهنا تظهر براعة محفوظ ، حيث ينقلنا الى الاهتمام بالشخوص الثانوية ، فنكاد ننسى رب الاسرة في زحمة الحوادث التي تجري لهؤلاء الاشخاص الثانويين ... والشخوص الفرعية يثبتها القاص في اذهاننا ثباتاً لا يتزعزع كعادته دائماً في قصصه ، فالقارىء لبين القصرين لا ينسى ابناء عبد الجواد ، كخديجة ، وعائشة ، وفهمي ، وكمال ، والاحـداث التي تعصف بهم من ازمات وفواجع ، وافراح واعراس . حتى جليلة العالمة والسلطانة زبيدة والشيخ متولي عبد الصمد لهم شخصياتهم التي لا تبرح ذهن القارىء ؛ فانهم يبرزون في ثنايا القصة بروزاً يجعلهم احياء يتحركون ويتنفسون التطور .. والعلاقة الذهنية والنفسية تظهر مجسمة على حركة الابناء وتطورهم الزمني . فمنهم من ينشد ان يكون محامياً في المستقبل ومنهم المثالي الثاقب النظر ومنهم من لا يرى ابعد من انفه ويرضى بوظيفة كتابية صغيرة ... وتتكشف لنا علاقات الاحفاد ، عند تطور الرواية الزمني ، وتتدافع بهم الحياة تدافعاً تحس معه بالتعاطف معهم ، واذا هم في هذا التلاطم الوجودي ، يعكسون ظـلال البيئة ومظاهر الاحداث السياسية والفكرية التي تنتهب المجتمع المصري ، وتحفر في جسده حروفاً دامية ، فمن مواقف الوفد والرياسات المتعددة ، الى تناحر الاحزاب على كراسي الحكم ، الى مذاهب سياسية نبتت هنا ونبتت هناك ، كل ذلك نمر عليه وغيره اثناء سير القصة .. فالقصة اذن اجمعت خبرات متعددة ، هي منصهر نفوس تواقة الى النصر ، واحداث جسام مر بها الشعب المصري وتقلب في اتونها .. وتكاد منـازع السياسة ورياحها تطفو في (السكرية) على صفحات الوجوه والشخوص وتستأثر بقلم الكاتب الى حد بعيد .

والحقيقة التي لا مراء فيها ، هي ان قصة بين القصرين جاءت سجلاً حافلاً لفترة التطور التي اجتازها الشعب المصري ، كما تدل على مهـارة في استخدام الحوادث ، واشاعة الحوار الدال ، وتنوير القطاعات الحادثية بحركة نفسية متطورة ، تعتمل في نفوس الشخوص ، وارتداداتهـا الزمنية عبر لحظات التفاعل المجتمعي ، ممـا جعل موضوعية القصة وفاعليتها تنمو ، اطراداً ، وتؤدي الوجهة الفنية الصحيحة . واعتماد الكاتب في هذه الامور ، القص ، والسرد ، والحوار المتماسك ، وتداعي المعاني ، ومحفوظ يستخدم لغة التداعي كثيراً ، وربما بالغ في استخدامها لدرجة ان بعض قطاعات القصة اصابهـا العطل وما يشبه الاغفاءة والفتور .. وقد يغرق احياناً في الاوصاف العادية الموسة والتصرفات الشخصية التي لا حاجة الى الافاضة في وصفها ، وربمـا يقوم له عذر في اتباع هذا المنحى بغية ابراز فكرة وتضخيم حادثة وتجسيم الصراع النفسي ، واحسب ان محفوظ اراد في هذا التداعي والوصف المسرف ان يدعو القارىء الى قفزات نفسية اخرى يحن الى ملابساتها وتواتراتها الصراعية .

اما المعاني الطيبة والنظرة الثاقبة والقدرة على مجابهة الصراحة وفضح الفساد المستشري في اجسام مَنْ كان يظن بهم الخير والصلاح ، فان نجيب محفوظ كشف عنها القناع وازال الحجب ودل القارىء على الكثير مما كان يجهله ولا يدري من بواطنه شيئاً .. ومهما قيل في ادب محفوظ وتضاربت الآراء في تقييم قصصه ، فهو في تاريخ القصة العربية الطويلة ، قـاص من الطراز الاول ويحتل الصدارة بين قصاصينا المبدعين .. وقصصه في حاجة الى دراستها ، دراسة تحليلية نقدية ، وما قدمه الدارسون عن قصصه لا يفي بالغرض ولا يشبع الظمأ لاجلاء الحقيقة النقدية بخصوص اثاره الفنية . وما كتب عن شخوص رواياته مقالات قليلة واشتات نقدية لعل اهمها مقالات الاستاذ يوسف الشاروني الموفقة في مجلة الاديب الغراء والتي يتناول فيهـا بعض نماذج وشخوص من روايته زقاق المدق. واننا نهيب بكتابنا المنصفين ونقادنا البارعين ان يتدارسوا أدب محفوظ ، ويعالجوه فناً وموضوعاً ، ولا سيما آثاره الجديدة وفي مقدمتها مؤلفه الروائي الفخم « بين القصرين » .. ولعلهم في المستقبل القريب فاعلون .. وتحيتي للقاص نجيب محفوظ مع اكباري لفنه الجدير بكل اعتبار وتقدير .

العراق ــ البصرة

عبد الرحمن علي



ظهر حديثاً

● نحو اشتراكية عربية – تأليف الدكتور كلوفيس مقصود – ١٥٧ صفحة – منشورات دار منيمنة للطباعة والنشر ببيروت .

● هتاف الجراح – لمحمد يوسف محمود – ٢٦٤ صفحة – منشورات دار المعرفة ببيروت . [لم يذكر اسم المطبعة]

● شتاء – لسليمان عواد – ١٦٠ صفحة – الغلاف والرسوم بريشة عبد القادر ارناؤوط – مطبعة الحياة بدمشق .

● اقاصيص مترجمة – باقلام الدكتور محمد بديع شريف والدكتور علي جواد الطاهر والدكتور صفاء خلوصي واحمد ناجي القيسي – مع مقدمة في القصة القصيرة للدكتور علي جواد الطاهر – ١٠٨ صفحة – حجم كبير – ملحق المجلد العشرين لمجلة المعلم الجديد التي تصدرها وزارة المعارف العراقية – مطبعة المعارف ببغداد .

● تكوين العقل الحديث – الجزء الثاني – تأليف جون هرمان راندال – ترجمة الدكتور جورج طعمة – مراجعة برهان الدين الدجاني – ٤٧٦ صفحة – حجم كبير – نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين المساهمة للطباعة والنشر في بيروت ، القاهرة ، نيويورك – منشورات دار الثقافة ببيروت – مطبعة دار الكتب ببيروت .

● الشعر العراقي ، اهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر – الدكتور يوسف عز الدين مدرس الادب العربي الحديث في كلية الاداب والعلوم ببغداد – ٢٧٤ صفحة – حجم كبير – ساعدت وزارة المعارف العراقية على نشره – مطبعة الزهراء ببغداد .

● التقرير السنوي للعام الدراسي ١٩٥٥ – ١٩٥٦ لوزارة التربية والتعليم الاردنية – ٦٤ صفحة – حجم كبير – مطابع الشركة الصناعية في عمان .

● شعر اليوم – تأليف مصطفى عبد اللطيف السحرتي – ١٥٦ صفحة – منشورات رابطة الادب الحديث – دار ممفيس للطباعة بالقاهرة .

● الاعصاب والتعب النفسي – تأليف الدكتور ابو مدين الشافعي – ١٣٤ صفحة – سلسلة اليقظة النفسية – ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربي – مطبعة احمد مخيمر [?]

● نماذج بشرية من العصور الوسطى – تأليف ايلين بور – ترجمة محمد توفيق حسن – مراجعة الدكتور نقولا زيادة وفؤاد ترزي – تقديم الدكتور نبيه امين فارس – ٢٦٤ صفحة – نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر – منشورات دار الثقافة ببيروت – مطابع سيا ببيروت .

● اللحم والسنابل – مجموعة شعر – لنذير عظمة – ١٠٥ صفحة – منشورات دار مجلة شعر ببيروت – مطابع مجلة شعر ببيروت .

● اضواء على المملكة العربية السعودية – تقديم الشيخ عبدالله بلخير الوزير المفوض لشؤون الاذاعة والصحافة والنشر – ٢٧٢ صفحة – حجم كبير – مزين بالصور الفتوغرافية – منشورات المديرية العامة للاذاعة والصحافة والنشر في العربية السعودية – [لم يذكر اسم المطبعة] .

● اسطورة الادب الرفيع – تأليف الدكتور علي الوردي استاذ مساعد في كلية الاداب والعلوم ببغداد – مناقشة صريحة في الادب العربي وتقاليده العتيقة في ضوء علم الاجتماع الحديث – ٣٨٤ صفحة – مطبعة الرابطة ببغداد .

● على الطائر – نقد الاحاديث النثرية والشعرية التي اذاعتها محطة الشرق الادنى منذ ١١/١١/١٩٥١ الى ٢٠/٤/١٩٥٥ – تأليف مارون عبود – ٣٢٢ صفحة – حجم كبير – منشورات دار الثقافة ببيروت – دار الشمالي للطباعة بحريصا لبنان .

● ذات العماد – لامين نخلة – ١٧٤ صفحة – منشورات مطبعة دار الكتب في بيروت .

● مصر الثورة – تأليف نسيب الاختيار – ١٦٦ صفحة – منشورات عويدات – مطبعة قلفاط بيروت .

● كيف تعمل الشعوب معاً . الامم المتحدة والوكالات المتخصصة – ٩٢ صفحة – حجم كبير – مزين بالصور – وضعته ادارة الانباء العامة بالامم المتحدة بنيويورك – المطبعة العالمية بالقاهرة .

● ادب اللامبالاة . ادب الشماتة والعقوق – للشاعر القروي رشيد سليم خوري – ٣٢ صفحة – حجم صغير – طبع سان باولو بالبرازيل [لم يذكر اسم المطبعة] .

● امين الريحاني، جوانب شخصيته واثره في نهضة العرب – تأليف حارث طه الراوي – ١٢٤ صفحة – مزين بالصور – دار ريحاني للطباعة والنشر بيروت .

● ذكريات – مجموعة اقاصيص – تأليف طارق داود العاني – ٣٨ صفحة – مطبعة الجامعة ببغداد .

● قاموس الجيب : الفصحى في العامية – تأليف جبران جبور – ١٣٥ صفحة – دار ريحاني للطباعة والنشر بيروت .

● مواكب الحرية في مصر الاسلامية – تأليف محمد عبد المنعم خفاجي – ١٦٠ صفحة – دار ممفيس للطباعة بالقاهرة .

● دراسات في الفلسفة الاسلامية – تأليف ابو الوفا الغنيمي التفتازاني مدرس الفلسفة الاسلامية بكلية الاداب بجامعة القاهرة – ١٩٦ صفحة – حجم كبير – منشورات مكتبة القاهرة الحديثة بالقاهرة – طبع دار الحمامي للطباعة بالقاهرة .

التي يقدر عددها بمليار مجموعة . ويحتمل ان نصادف في هذا الفضاء عدداً من الكواكب السيارة التي تحوم بصورة دائمة حول كواكب ثابتة معينة كما يجري ذلك بين كرتنا الارضية والشمس . ويحتمل ايضاً ان نصادف هنا وهناك لوناً من الوان الحياة العضوية غير هذه الحياة لا تكون على المستوى العالي المعقد من حيث الزمان والمكان . واذا ما كان هناك شيء من الامور النادرة . ومع ذلك فلنثابر على قطع طريقنا في هذا الفضاء الكوني ...

فاذا اردنا الوصول ، مثلا ، الى اقرب نجم ثابت الى الارض وهو «بروكسيما سنتاوري»، فاننا نحتاج بصاروخ سرعته ١٠٠ الف كيلومتر في الساعة الى ٤٦ الف عام للوصول اليه .

ولنفرض ان لدينا صاروخاً تبلغ سرعته مليون كيلومتر في الساعة واردنا لعبور المجرة من طرف الى آخر ، فاننا لا نصل الى تحقيق بغيتنا الا بعد مضي ٧٠ مليون عام على الاقل !

ويكفي للدلالة على استحالة ارتياد الفضاء الكوني والبحث فيه ان الصاروخ الذي تبلغ سرعته مليون كيلومتر في الساعة يحتاج الى ١٦ الف عام لقطع المسافة بين كوكب وآخر من الكواكب المتقاربة ، فكم بالحري الكواكب المتباعدة !

ولعل في هذا المثل الاخير عبرة لكل من حدثه غروره ببلوغ الكواكب والتنقل بينها كيف يشاء . ولسوف يبقى سر الفضاء الكوني مطوياً الى الابد ، لا يقف عليه الا الخالق جل وعلا .

هامبورغ — **كارل مالينجر**

في كلمات ...

● اكتشف فريق من رجال البحث من الاطباء العاملين في مستشفى المحاربين القدماء في كليفلاند مادة جديدة في الدم يعتقدون ان وجودها يسبب ضغط الدم العالي في الانسان ، كما اخذوا يبحثون في الوقت ذاته عن عقار لمواجهة اثر هذه المادة وإبطال مفعولها . وهذه المادة او العنصر الجديد المدعوة « هيبرتنسن » تمكن فريق من العلماء في المستشفى المذكور من عزلتها تماماً . وينصرف هذا الفريق من العلماء للبحث عن عقار جديد يبطل مفعول الهيبرتنسن ويحول دون مرض الضغط الذي يعد اكبر مرض يفتك بحياة الناس .

● اكتشف عالم اميركي عقاراً جديداً اطلق عليه اسم « ديلكوران » تبين من التجارب التي اجريت عليه انه يشفي ٧٥ ٪ من حالات الذبحة الصدرية الحادة ، ويؤجل في نفس الوقت ٧٥ ٪ من الحالات التي لم تحدث بعد . وهكذا يعتبر تأثير هذا العقار مضاعفاً .

● صرح العالم الروسي البروفيسور نيجوفسكي ان العلماء الروس يحاولون اعادة الحياة الى الانسان بعد توقف دقات قلبه وموته . قال – ان الروس نجحوا في اعادة الحياة الى بعض الكلاب بعد توقف قلبها عن العمل ساعة . اما القرود فقد امكن اعادتها الى الحياة بعد موتها بعشرين دقيقة وصرح ايضاً بأنه امكن حتى الآن اعادة الانسان بعد موته بخمس او ست دقائق ولم تجر اي تجارب بعد هذه المدة . ولكنه اكد انه في الامكان اعادة الحياة للانسان بعد موته بفترة طويلة اذا احتفظ بجسمه داخل ثلاجة .

● نجح الاطباء في امريكا في علاج بعض الامراض الجلدية الخطيرة عن طريق اعطاء المريض حقناً في العضل تحوي ١٥ نقطة من دم المريض نفسه ... ومن بين الامراض التي نجحت هذه الطريقة في علاجها مرض « الهربس المنطقي » ، وقد زال الالم في فترة تتراوح بين يومين وسبعة ايام .

● اظهرت الاحصاءات الرسمية ان سرطان الرئة ، الذي زاد انتشاره خلال السنوات العشرين الماضية ، يقضي في بريطانيا على عدد من الاشخاص يفوق بكثير العدد الذي تقضي عليه انواع هذا المرض الأخرى .

● ينصرف فريق من الاطباء في اميركا لدرس ضغط الدم في الزرافة توصلا منهم للمزيد من المعلومات حول وظائف القلب في جسم الانسان. واختصاصيو امراض القلب في اميركا يهمهم جداً ان يعرفوا كيف تستطيع الزرافه دفع الدم المضغوط الى علو ١٢ قدماً (٦ ر ٣ امتار) لعنقها الطويل ورأسها . ان ضغط الدم في الانسان الذي يبلغ ١٢٠ مليمتراً يعتبر طبيعياً. غير ان ضغط الدم الطبيعي في الزرافة يبلغ ٣٦٠ مليمتراً ومع ذلك فهي تحيا حياة طبيعية. والمزيد من المعلومات حول الزرافة قد يساعد الاطباء على فهم امراض القلب في الانسان اكثر فاكثر.

وقد اعلن الدكتور جيمس ورن من اطباء جامعة دورهم في كارولينا الشمالية ان اوردة الدم في الزرافة قوية العضلات والبنية ومع ذلك فهي مطاطة لتتيح للدم ضغطاً عالياً . والمعروف ان جلد الزرافة السميك ويبلغ وزنه ١٠٠ رطل (٤٥ كيلو غراماً) يمكن صنعه سترة للطيارين يرتدونها اثناء التحليق على ارتفاع كبير في الجو واثناء الطيران بسرعة شديدة . والمعروف ان سترة من هذا النوع تضغط على جسم الانسان لتحول دون انفجار الدم وخروجه من فجوات الرأس .

● يقول الدكتور هولمز الاستاذ بجامعة واشنطون ان الآلام التي قد تظهر في العنق او الظهر او الاطراف الخلفية ، هي رد فعل يظهر عندما يحاول الشخص حل مشكلة من مشاكله الهامة فلا ينجح في ذلك . ومن اهم اسباب ظهور هذه الآلام ، النزاع والقلق ، وخيبة الامل ، والهزيمة ، والشعور بالذنب او الاذلال .

● اعلن راديو موسكو ان العلماء السوفيات اخترعوا « عيناً تليفزيونية » تستطيع مشاهدة التورم في الدماغ . وان هذه العين ستعرض في معرض بروكسل في شهر ابريل القادم .

● تساعد الصور الذرية اطباء ادارة المحاربين القدماء في اميركا في تشخيص السرطان الداخلي الذي لا يمكن اكتشافه باية وسيلة اخرى . وقال احد الاختصاصيين في الادارة المذكورة بان هذه الصور تستعمل استعمالا يشابه كثيراً الصور السينية العادية . فهي تبين الاشعاعات من النظائر المشعة . فيعطى المريض جرعات مختلفة من هذه النظائر التي يتجمع كل نوع منها في احد اعضاء الجسم ويصبح عندها بالامكان تصويره وتشخيص الاصابة اللاحقة به . ويقول الاطباء ان هذه الطريقه تساعد ايضاً على تقديم علاج افضل لحالات فقر الدم وعدم الانتظام في عمل المعدة .

● تمكن العلماء من اطالة فترة بقاء قرنية العين التي تنقل من الاموات حديثاً لتطعم بها عيون الاحياء الى حوالي سنتين ، وذلك بوضعها في الجلسرين بعد تجفيفها تماماً . وبهذا تظل صالحة للاستعمال طوال عامين .

● اشارت البرقيات في مطلع الشهر الماضي الى

« شفاء » الممثلة البريطانية ايفا بارتوك على يد الطبيب النفساني الاندونيسي باك صبح ومساعده الانكليزي جون بنيت ، وكلاهما في مونيخ .

وكانت ايفا قد اصيبت بعارض من الجنون . وهي في هوليود في ابريل ١٩٥٧ . وكانت حاملا ، فقرر الاطباء مباشرة معالجتها بتخليصها من المولود ، فرفضت وطارت الى لندن تنشد المعالجة لدى الطبيب النفساني الانكليزي بنيت ، فلم تجده . وعندئذ قررت اجراء العملية . وفي ٢٣ مايو ١٩٥٧ ، بينما كانت تساق الى غرفة العمليات ، وردتها مخاطبة هاتفية من بنيت ، فتركت المستشفى وسارعت اليه ، فارشدها الى الاندونيسي باك صبح ، الذي « يشفي » مرض النفس باسلوب شرقي خاص به .

وتقول ايفا انه منذ باشر صبح بمعالجتها ، زال العارض عنها رويداً رويداً ، حتى وضعت في ٧ اكتوبر ١٩٥٧ طفلها . وبعد الولادة استمرت المعالجة ، الى ان شفيت نهائياً في مطلع الشهر الماضي ، فعقدت مؤتمراً صحفياً تبشر فيه بطريقة « صبح » الفريدة وتنصح كل مريض نفساني او عقلي بالالتجاء اليه .

● اكتشف بعض العلماء عقاراً جديداً يحمي الجسم من خطر اشعة (اكس) اذا اعطي بطريقة الفم او الحقن ، وقد جرب على بعض الكلاب بعد تعريضها فترة طويلة لهذه الاشعة فشفيت تماماً ، رغم ان الفترة كانت كافية لقتلها .. ويأمل العلماء ان يكون لهذا العقار نفس التأثير في حماية الانسان من خطر الاشعة الذرية ، نظراً لان اشعة اكس تماثلها في كثير من آثارها . وقد اطلق على هذا العقار اسم علمي مطاول .

● تزوجت مسز ليليان بورسيل منذ ١٥ عاماً من درنالد بورسيل وكان رجلا قوي البنية ويقوم بجميع الاعمال المنزلية ويبلغ الزوج من العمر ٤٣ عاماً . وقد نقل الى المستشفى عقب احتلاله وبعد بضعة ايام اخبرها البوليس ان زوجها تحول الى امرأة بعد اجراء عملية جراحية له ، فاصيبت بدهشة بالغة ، وهي تبلغ من العمر ٣٧ عاماً .

● احدث طريقة لتخفيف آلام الولادة هي : استخدام الموجات التي تفوق سرعة الصوت ، على العمود الفقري للأم اثناء ساعات الوضع ، وقد ساعدت هذه الطريقة على الاقلال كثيراً من الآلام التي تحس بها السيدات اثناء الوضع الطبيعي .

● اكتشف العلماء طريقة حديثة لاكتشاف كمية الاشعاعات التي قد يتلقاها الشخص اثناء تعرضه للاشعاعات وذلك عن طريق فحص جذور شعره تحت الميكروسكوب اذ ثبت ان الاشعاعات تحدث تغيرات خاصة في جذور الشعر يمكن اكتشافها تحت الميكروسكوب . وكلما كانت كمية الاشعاعات كبيرة ، كانت التغيرات أكثر وضوحاً .

● اعلن العلماء السوفيات انهم توصلوا الى صنع البطارية التي تستطيع تحويل الطاقة الذرية الى كهرباء ، ويعلق المراقبون الصناعيون اهمية كبرى على هذا الاختراع .

● عندما بدأت ساعة بيغ بن المشهورة عملها سنة ١٨٦٠ صنعت على أساس يجب معه ان لا تتأخر ابداً اكثر من ثانية واحدة في اليوم الواحد . وقد قال الناس يومذاك ان تحقيق هذه الدقة عمل عظيم بحد ذاته ولكن المعهد البريطاني المختص بصناعة الساعات الكبيرة اعلن لمناسبة احتفاله بذكرى تأسيسه المئوية انه صنع ساعة ذرية تعمل اليوم في مختبر الفيزياء في ميدلسكس بلغت دقتها الى حد عجيب لن تتأخر معه خلال ٣٠٠ عام اكثر من ثانية واحدة .

واما المعهد المذكور فقد تأسس خدمة للعلوم المتعلقة بصناعة الساعات الكبيرة وله اليوم طلاب عديدون في شتى انحاء العالم يتابعون دراسات فيه بالمراسلة .

● اشارت الاوساط العلمية الالمانية الى ان تجارب هامة لاستخدام الطاقة الناتجة عن اتحاد الذرات ، قد أجريت بنجاح في مدرسة ايكس لا شابيل البوليتكنيكية ، بادارة البروفور فلهلم فوكس ومعاونيه .

● بدأت عمليات بناء حاملة الطائرات الاميركية الذرية « انتربرايز » وهي اول حاملة طائرات

في العالم تسير بواسطة الطاقة الذرية واكبر سفينة حربية في التاريخ .

وستبلغ تكاليف هذه الحاملة ٣١٢ مليون دولار كما وسيبلغ وزنها ٨٥ الف طن وطولها ٣٣٠ متراً. وستدفع هذه الحاملة ثمانية محركات ذرية تدير اربعة فراشات دافعة ، وستحمل الانتربراز على ظهرها بطاريات لاطلاق القذائف المسيرة بدلا من المدافع العادية المضادة للطائرات ومن المتوقع ان يجري تسليمها لقادة البحرية في سنة ١٩٦١ .

● صنعت اميركا قاذفة قنابل تفوق سرعتها سرعة الصوت ويمكنها ان تحيط نفسها بدرع الكتروني ، عبارة عن مجال كهربائي مغناطيسي حول الطائرة ، يضلل الصواريخ الموجهة والمضادة للطائرات ويجعلها تحيد عن اتجاهها .

● يفيد تقرير لجنة الطاقة الذرية الاميركية ان الطاقة الذرية استخدمت لاول مرة في عام ١٩٥٧ في طبخ وتقوية اطارات السيارات المصنوعة من المطاط . ويقول التقرير ان نجاح استعمال الاشعاع الذري في تقوية هذه الاطارات يعد اول تغير اساسي في طرق اعداد المنتجات المصنوعة من المطاط منذ اكتشاف العالم الاميركي كوديار طريقة تقوية المطاط عام ١٨٣٩ . وتقول لجنة الطاقة الذرية الاميركية ان الاطارات المقواة بواسطة الطاقة الذرية برهنت عن مقاومة للذوبان والاهتراء تفوق بكثير مقاومة الاطارات المطبوخة بالطرق العادية .

● قال عالمان ذريان ان هجوماً شاملاً بالقذائف المسيرة الهيدروجينية على الولايات المتحدة سيقضي على مائة مليون شخص . وقال الدكتور وكيلوغ والدكتور تشارلز شيفر ، في ملحق لنشرة العلماء الذريين ، ان ثلث سكان العالم سيصابون بنتائج الهجوم .

وقال كيلوغ ، وهو حجة في ميدان الاشعاع ان خمسين مليون شخص على الاقل سيقتلون فوراً من الانفجار . وقال ان الوفيات الباقية ستقع خلال سنة واحدة بسبب الاشعاع .

وقال كيلوغ ان تقديره يقوم على الاحوال التي قد تسود بعد انفجار الفين وخمسمائة ميغاتون من الرؤوس المتفجرة الهيدروجينية في الولايات المتحدة ويمكن الوصول الى هذا المجموع باطلاق ٢٥٠ صاروخاً يحمل كل منها رأساً متفجراً من فئة العشرة ميغاتون .

ويوازي الميغاتون مليون طن من الت ن.ت في الارقام المستعملة للمقارنة . وقال كيلوغ ان حجم العشرة ميغاتون للصواريخ هو « ضمن امكانيات انتاج الولايات المتحدة وروسيا » .

● توفي في روما عن عمر يناهز الستين البروفسور لويجي لومباردي احد كبار علماء الالكترون وقد قام هذا بابحاث عديدة نظرية وعملية في مختلف ميادين الالكترون وكان رئيسا للجنة الاليكترون الايطالية ورئيساً للجنة الدولية للاصلاحات الالكترونية .

● ثبت من فحص عينات خامات المواد المشعة التي عثر عليها في منطقتي الفيوم وساحل البحر الأحمر بمصر انها تحتوي على مادة اليورانيوم التي تعد من افضل العناصر المشعة ، المعروفة لانها اكثر صلاحية من غيرها للاستغلال في الدراسات والمشروعات الذرية .

● اكتشفت رواسب من عنصر اليورانيوم بالسودان بالقرب من حدود افريقيا الاستوائية الفرنسية في الجنوب الغربي من البلاد .

وقال السيد حماد توفيق وزير التجارة في معرض اعلانه هذا النبأ ان الاكتشاف تم خلال التنقيب الذي اتسع اخيراً كجزء من مشروع الحكومة لاستغلال موارد البلاد الطبيعية .

● اعلن سلاح الطيران الاميركي انه اجرى تجربة ناجحة لصاروخ موجه جديد لا يمكن التشويش عليه بواسطة الرادار ، وان الصاروخ ويدعى ميس اطلق من مركز تطوير الصواريخ في الاموغوردو بنيو مكسيكو واستقر في «منطقة الهدف المختارة» في قاعدة سلاح الطيران بواندوفار الواقعة على مسافة ٦٥٠ ميلا من هناك . وصاروخ ميس هو من الاجهزة الموجهة التي يتعذر على العدو التأثير على مجرى سيرها بتلك الاجراءات امثال التشويش بالرادار .

● اطلق الانكليز في ٢٣ يناير الماضي صاروخاً بلغ علوه ٢٣ الف متر في ٤٠ ثانية ، اي بسرعة تفوق سرعة الصوت بمرتين وثلث المرة . ثم تابع الانطلاق الى علو ٣٥ الف متر ، حيث جرى تدميره باللاسلكي . وحتى الآن لم يحدد الانكليز الغاية المقصودة من هذا الصاروخ .

● صرح الدكتور رتشارد بورتر رئيس الهيئة الفنية في برنامج الكوكب الصناعي التابع للجنة الأميركية الخاصة بالسنة الجيوفيزية ، بأنه قد تم اعداد صاروخ آخر من طراز « جوبيتر س » لحمل قمر صناعي .

وسيكون القصد من الصاروخ الثاني نفس القصد من القمر الصناعي « الرائد » الذي يدور حول الأرض الآن بسرعة ١٨ الف ميل بالساعة . وصرح الدكتور جايمس فان الن رئيس الهيئة العاملة في التجهيزات الداخلية للقمر والتابعة للهيئة الفنية المشرفة على القمر الصناعي بأن القمر الثاني سيحمل اجهزة شبيهة بالأجهزة المجهز بها القمر الحالي بالاضافة الى جهاز تسجيل مغنطيسي لا يزيد حجمه عن طابع البريد العادي .

وقال الدكتور فارنر فون برون مدير قسم عمليات التطوير في وكالة القذائف المسيرة التابعة للجيش الاميركي ، ان الصاروخ الثاني قد تم صنعه ولكن لا تزال هناك بعض الأعمال التي يجب القيام بها لانجازه . وشرح الدكتور فون براون طريقة عمل « كوكب الاتصال » فقال : « لنفرض ان الكوكب يمر فوق وشنطن . ففي وشنطن تتلقى محطة راديو خاصة الرسائل التي كانت مسجلة بواسطة جهاز التسجيل في القمر وتقوم بتسجيلها ثم تمحو ما كان مسجلاً على شريط الكوكب وتسجل عليه رسائل موجهة الى كاب تاون في جنوبي افريقيا . وتعاد العملية نفسها عندما يمر الكوكب فوق كاب تاون فتأخذ عنه المحطة المحلية الخاصة رسائل اخرى موجهة الى مكان آخر ، وهكذا دواليك .

● نجح علماء اميركا في استخدام مادة كيائية تسمى « هكسا ديكانول » تخفض الى حد كبير تبخر الماء في مستودعات الماء اذ تنشر هذه المادة غلالة رقيقة فوق الماء دون ان تؤثر عليه ، فتصون ٦٥ ٪ من كميات الماء التي تتبخر منها .

● نجحت روسيا في تجربة اطلاق طائرة هيلكوبتر بلا اجنحة وبلا محركات . وقالت صحيفة « كراسنايا سفزدا » ان الطائرة الجديدة تستطيع السير الى الامام والى الخلف ويميناً ويساراً وان تهبط على رقعة صغيرة من الارض لا تزيد على حجمها .

وقالت انها مزودة بمروحة نفاثة في اعلاها ذات دفتين تقومان مقام الدفة والاجنحة العادية ، وتتحركان في كافة الاتجاهات .

● اتم المهندسون في اليابان اعداد اول خط للقطار ذي القضيب الواحد الذي يرتفع خمسة امتار عن سطح الارض فوق مدينة طوكيو

لعلاج ازمة المواصلات المزدحمة هناك ، وتزن القاطرة التي تضم عربتين ١٢ طناً ، وتحمل ٦٢ راكباً ، وقد وضعت العجلات من فوق ، وصنعت من المطاط حتى لا تحدث ضجة خلال سيرها فوق شوارع العاصمة اليابانية .

● نجحت التجارب التي اجريت لتوسيع نطاق مدى اذاعات التليفزيون لمسافة ٢٠٠ ميل عن طريق اطلاق الاشارات في طبقات الجو العليا. وينتظر ان تخطو هذه التجارب خطوات اخرى سريعة خلال العامين القادمين بحيث يمكن بعدها استقبال اذاعات التليفزيون من اوربا في الولايات المتحدة .

● اخترع سائل شفاف جديد يستخدم في لصق التمزقات او التكسرات في العاب الاطفال او الاواني المصنوعة من البلاستيك او معاطف المطر او الوسائد فتوضع نقط قليلة من هذا السائل فوق الثقب فتجف في خلال عشر دقائق وتكون « برشاما » قوياً لا تؤثر فيه المياه، ويشبه المادة الاصلية . ويسمى هذا السائل الشفاف باسم « داب » .

● استطاع العلماء لاول مرة انتاج «النوبيوم» — الذي يطلق عليه اسم المعدن السحري — في انقى صورة . ويعتقد العلماء والمهندسون ان النوبيوم سيلعب دوراً هاماً في تقدم آلات الطائرات والمولدات الذرية في المستقبل اذ يتحمل هذا المعدن درجة حرارة تبلغ حوالي الالف درجة مئوية .

● اعلن راديو موسكو ان مهندسي التصميم في الطيران السوفياتي قد اخترعوا طائرة تدعى « أورنيتهوبتر » تستطيع ان تطير حسب طريقة صفق الاجنحة التي تستخدمها العصافير .

وقال راديو موسكو عن آلات الاجنحة ان مثل هذه الالات يمكن ان تستخدم للرحلات الجوية القصيرة . وهي تستطيع الانطلاق من اي مكان ، والتوقف في الجو والهبوط في اي مكان. ووصفت قوة الاورنيتهوبتر بانها ستكون اشد بأربعة او خمسة اضعاف من الطائرة العادية التي تستخدم نفس المحرك . وان طائرة اورنيتهوبتر قادرة على حمل خمسة عشر شخصاً ستعمل بنفس القوة التي تستخدمها طائرة تدريب عادية تحمل شخصين فقط .

وقالت الاذاعة ان المصممين الروس قد اخترعوا طائرات اورنيتهوبتر ذات نوعين من الاجنحة . فقد صمم بافل سيرنوف آلة ذات اجنحة تشبه اجنحة العصفور ، بينما وضع الالماني ريبنكوف تصميما لاجنحة تشابه اجنحة الحشرات.

● جربت هيئة الاذاعة البريطانية ما تعتقد انه المحاولة الاولى في اذاعة الاصوات ذات الابعاد الثلاثة . وبهذ الطريقة يكون وقع الصوت لدى المستمع اعمق واعرض . وهذا الاسلوب شبيه الى حد بعيد باجهزة التسجيل التي تستخدم مجريين للصوت ومكبرات منفصلة للصوت . وفي التجربة التي اجريت نقل الصوت على جهاز ارسال للبرامج المحلية وجهاز ارسال آخر ذي ذبذبة عالية جداً . وقد عرض في اثناء التجربة صوت قطار يدخل المحطة فخيل للسامعين ان القطار دخل من احد جوانب الغرفة وخرج من الاخرى. وعرضت ايضاً اصوات جوقة مرتلين فخيل للسامعين ان المرتلين يقفون الى جانب من الغرفة والجوقة الموسيقية الى الجانب الاخر . وتعتزم هيئة الاذاعة البريطانية اجراء تجارب واسعة اخرى على هذه المحاولة الطريفة قبل اعتمادها نهائياً في برامجها العادية .

● اعلنت وزارة الخارجية الالمانية ان العلماء الالمان الواحد والعشرين الذي افرج عنهم السوفيات وصلوا الى المانيا الغربية . وقد اثنى الناطق الرسمي بلسان الوزارة على هذه البادرة من جانب الاتحاد السوفياتي ، وقال انه يؤمل الآن ان يقدم السوفيات على الافراج عن المزيد من العلماء الالمان المعتقلين لديهم .

وعلى هذا الأساس فان أربعة وخمسين شخصاً قد غادروا الاتحاد السوفياتي عائدين الى المانيا الغربية وهذا العدد يتضمن العلماء وأفراد عائلاتهم . وهؤلاء العلماء كانوا معتقلين في « سوشومي » الواقعة عند البحر الأسود ولفترة غير محدودة . وقد تولى الجيش الأحمر نقلهم الى الاتحاد السوفياتي عقب الحرب العالمية الثانية وعقد معهم اتفاقاً يقضي بأن يسمح لهم باصطحاب عائلاتهم معهم .

● اصبحت الاجهزة الالكترونية بمثابة الادمغة المسيطرة على الكثير من العمليات الصناعية والفنية والعلمية . فهي تحل العمليات والمعادلات الرياضية المعقدة بأقل من ثانية وترشد الطائرات والسفن الى موانئها وتنظم وتفحص منتجات المعامل في جميع مراحل صنعها . ونراها اليوم تحل محل عمال البدالات في المواصلات الهاتفية . ففي لندن وبعض المدن البريطانية الاخرى بدالات الكترونية تتمكن الواحدة منها من الاستماع الى ما لا يقل عن ٧٠٠٠ طلب وتتذكرها جميعاً وتقوم بوصل الخطوط المطلوبة دون احتمال وقوع اي خطأ .

● أرسل الى معرض بروكسل الدولي كميون ذو صندوق قلاب من ماركة « ماز ٥٣٠ » صنع في معمل السيارات بمينسك . وحمولة هذا الكميون الصافية هي ٤٠ طناً . أما مقاييسه فهي : عرضه ٥ و٣ أمتار ، طوله اكثر من ١٠ امتار ، ارتفاعه قرابة ٤ أمتار . ومع ان وزنه مع حمولته هي ٧٥ طناً فان محركه الديزل يحتوي على ١٢ اسطوانة ، وتبلغ قدرته ٤٥٠ حصاناً بخارياً تؤمن له سرعة ٣٠ كيلومتراً في الساعة حتى على الطرقات الوعرة .

● صرح الدكتور شينيا انوى التابع لجامعة روتشستر بولاية نيويورك ، أمام مؤتمر علماء الفيزياء الحيوية بأنه تم ابتكار مجهر جديد يمكنه السيطرة على التموجات الضوئية الى درجة بلغت واحد من مليون من الانش مما يمكن من الحصول على معلومات هامة حول تركيب الانسجة العضلية وعملها. وأضاف بأن الجهاز الجديد قد مكنه من تصوير نماذج من الانسجة العضلية لم تكن معروفة من قبل . وقال انه رأى هذه الانسجة تنتقل من مكان الى آخر وتتغير في شكلها وحجمها وتتحد ثم تنفصل اثناء عملية تقلص العضلات .

● اعلن الاتحاد السوفياتي انه سيصبح قادراً ، بعد قليل ، على ازالة جبال كاملة من على سطح الارض .

وقال راديو موسكو ، مذيعاً برقية لوكالة تاس باللغة الانكليزية ، ان كل ما سيبقى مكان الجبال مساحة مسطحة ، وأضاف انه اصبح بالامكان نسف ملايين الامتار المكعبة من التراب الى الجو مع معرفة مكان هبوطها بالضبط .

● كشفت قيادة البحرية الأميركية النقاب عن جهاز من اسلحة الطرابيد التي تطلق بواسطة الصواريخ وتستطيع ان تحدد اماكن الغواصات المعادية بصورة اليكترونية وتدمرها . ويستطيع الجهاز الجديد الذي وصف بأنه « نوع جديد من انواع الاسلحة المضادة للغواصات » تحديد مكان الغواصة من مدى بعيد ومعرفة اتجاه سيرها وسرعتها ثم تصويب السلاح نحوها واطلاق

صاروخ حامل لبراشوت مزود بالطوربيد . وقالت قيادة الاسطول ان البراشوت ينزل الطوربيد الى الماء ، وعندئذ ينطلق الطوربيد فيلحق بالغواصة ويدمرها .

● اعلن اليوم رسمياً ان العلماء البريطانيين يقومون ببناء جهاز جديد بدل جهاز « زيتا » لتوليد درجات حرارة لا تقل عن مئة مليون درجة اي ما يعادل ستة او سبعة اضعاف درجة الحرارة في مركز الشمس .

● تقوم روسيا في الوقت الحاضر بانشاء نفق تحت البحر يصل بين صحراء سيبيريا وجزيرة سخالين وقال أحد المهندسين اليابانيين ان العمل في هذا النفق لم يتم بعد . ولكنه تم مد خط انابيب بترول تحت المضايق الممتدة على طول الطريق الذي انشيء فيه النفق .

ثم قال انه قد وقع انفجار في بعض انابيب الغاز داخل هذا النفق مما ادى الى عرقلة العمل فيه .

● اخترع العالم الالماني انطون جراف في مونيخ اول جهاز دقيق لقياس قوة الجاذبية في مياه المحيط ، واطلق عليه اسم « جرافيميتر » وهو يوفر ٧٥ ٪ من الوقت الذي كان يستخدم من قبل في هذا العمل .

● ذكر راديو موسكو ان العلماء السوفيات انضموا الى غيرهم من العلماء في البحث عن قطع نيزك كبير الحجم قيل انه سقط اخيراً في مقاطعة كيرشيزيا السوفياتية على الحدود السوفياتية الصينية .

● اعلنت الجمعية الجغرافية في واشنطون انها سوف تشترك في بعثة للتنقيب واكتشاف الكهوف في جزيرة سانتارورا بالباسيفيك . وتدل الآثار التي عثر عليها في هذه الكهوف ان الانسان الاول عاش بالجزيرة منذ ٣٧ الف سنة .

● اعرب السيد سعيد الدرة ، مدير دائرة الآثار الاردنية ، عن اعتقاده بان اعمال الحفر الجارية الان في قصر هشام التاريخي ، قرب اريحا ، ستؤدي الى اكتشافات تاريخية مهمة . وقال ان اعمال الحفر التي بدأت منذ حوالي ثلاثة اسابيع تتجه نحو سور القصر ، وهي توحي بان هذا السور يمتد الى حوالي كيلومترين من الجهة الغربية لهذا الاثر العربي التاريخي .

والمعروف ان هذا القصر قد بني في عهد الخليفة الاموي هشام بن عبد الملك ، في مطلع القرن الثاني للهجرة الموافق القرن التاسع الميلادي .

● اكتشفت البعثة النيوزيلاندية في القطب الجنوبي التي يرأسها سيرادموند هيلاري مناجم هامة للفحم في المنطقة الجنوبية المتجمدة بين نهري ماكي وفراي المتجمدين .

● اكتشفت آثار جديدة في الاردن من بينها مخطوطات يعتقد انها ترجع الى عهد — موسى — عندما هرب من مصر مع قومه .

● جاء في مقال كتبته صحيفة ازفستيا الناطقة بلسان الحكومة السوفياتية ان البعثة السوفياتية المنغولية المشتركة لدراسة المنطقة التي حدثت فيها الهزة الارضية في منغوليا والاراضي المحيطة بها في الرابع من شهر ديسمبر من العام الماضي وجدت في تلك المنطقة « جحيم دانتي » .

وقال البروفسور ذاورنتزوف كاتب هذا المقال ان بعض قمم الجبال في تلك المنطقة قد تشققت او انهارت كما ظهرت المياه في بعض الاماكن وبرزت انهار وجداول صغيرة لم تكن موجودة قبلاً . وقدر حد عمق الهزة بحوالي ١٣ ميلا او ١٨ ميلا تحت سطح الارض وقتل من جرائها اكثر من ٢٠ شخصاً .

● اكتشف العلماء السوفيات في منطقة القطب الجنوبي اثار نباتات وحيوانات قدروا عمرها بنحو ٢٥٠ مليون سنة . ومن هذه الآثار قطع متفحمة من الخشب .

● اعلنت دائرة الآثار انها بدأت باعمال حفر جديدة في موقع عين الفشخة ، القريبة من البحر الميت ، للبحث عن فهرست مخطوطات البحر الميت .

وصرح المسؤول عن الحفر بأنه اذا نجحت اعمال الحفر والتنقيب ووجد الفهرست المذكور فانه سيكشف عن كثير من المسائل الغامضة بخصوص هذه المخطوطات التي يحاول العلماء حل رموزها . وتستهدف اعمال الحفر بالاضافة الى العثور على مخطوطات جديدة ، التحقق مما قاله أحد علماء جامعة مانشستر في انكلترا من ان بعض المخطوطات التي وجدت في خربة قمران تشير الى وجود كمية كبيرة من سبائك الذهب والفضة تقدر بمائتي طن .

● يدار منذ الشهر الماضي في بلدة فلير على بعد ٥٦ كيلو متراً من سدني جهاز راديو تلسكوب جديد يستطيع به العلماء الوقوف على بعض خفايا النظام الشمسي ودراسة الاثار الارضية الناجة عن العواصف الشمسية . وقد جهز هذا التلسكوب باسطوانات يبلغ عددها ٦٤ وقطر كل منها ستة امتار . وتنقل هذه الاسطوانات بدون توقف صوراً شمسية الى الة تسجيل خاصة . هذا ، ويستطيع هذا الجهاز ان يزودنا بصور للانفجارات الشمسية على الرغم من السحب والتغييرات الهوائية .

● تكهن الدكتور جان شيلت استاذ علم الفلك في جامعة كولومبيا بان من الارجح ان تكون اول رحلة يقوم بها الانسان الى الفضاء ، الى المريخ بدلا من القمر . وقال انه سيكون من العسير جداً الهبوط في القمر الكائن على مسافة ٢٣٩ الف ميل تقريباً ثم العودة منه ثانية لان هذه العودة ستحتاج الى وسائل الاطلاق . وهو يعتقد ان وسائل الاطلاق هذه ان تكون ضرورية فوق المريخ الذي يبعد ٣٥ مليون ميل عن الارض لان قوة الجذب التي للمريخ ستكون معدومة تقريباً .

● تقرر ان توسع هونغ كونغ رقعتها باضافة مساحة واسعة من البحر بعد تجفيفها الى اراضيها وذلك بعد ان تبين المسؤولين تزايد كثافة السكان في البلاد .

● بدأ مرصد الجامعة الأميركية ببيروت منذ بضعة اشهر بأخذ الصور الفوتوغرافية للبقع الشمسية وذلك كقسم من الدراسات الخاصة بالسنة الجيوفيزية . وقد جرى تصوير قرص الشمس عدة مرات في النهار الواحد .

والجامعة الاميركية هي المؤسسة الوحيدة في سوريا ولبنان التي تساهم في برنامج السنة الجيوفيزية . وهي احد المراكز الاثني عشر في العالم التي تعنى بهذه القضية اي دراسة البقاع الشمسية ، التي يشرف عليها الاستاذ اوين جنجريتش استاذ العلوم الفلكية .

ومنذ سنوات طويلة والجامعة الأميركية تشغل مركز الصدارة في العالم العربي لدراسة الفلك . وقد انشىء فرع الدراسات الفلكية عام ١٨٧٤ وجرى تركيب منظار المرصد وقطر عدسته ١٢ بوصة ، عام ١٨٩٥ . هذا ويشغل الاستاذ جنجريتش منصب مدير المرصد منذ ثلاث سنوات .

ومن التقاليد القديمة ، الامسيات الشهرية التي تسمح ادارة المرصد خلالها للجمهور بمشاهدة القمر والكواكب من خلال المنظار المكبر . والمعلوم ان حوالي ١٢٥ شخصاً يحضرون هذه الامسيات الفلكية بانتظام .

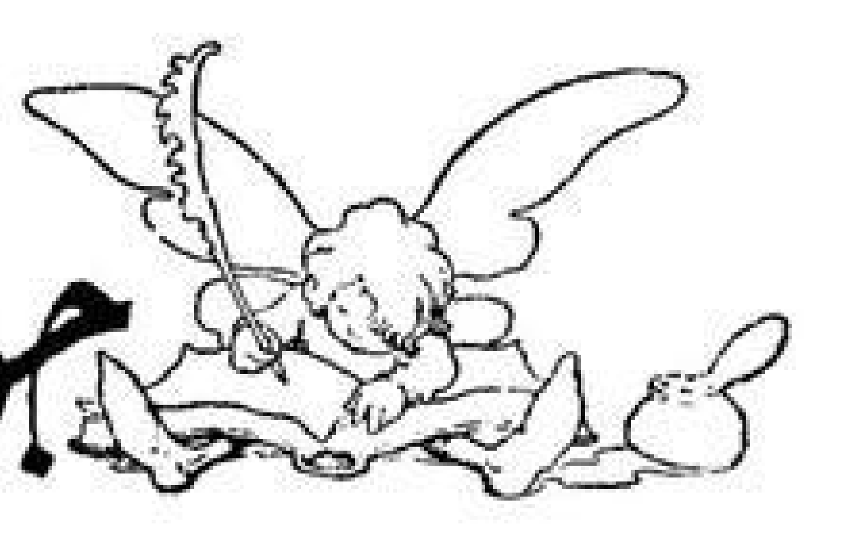
ومنذ خمسين سنة والمرصد يقوم بجمع المعلومات الفلكية والجوية . ولهذه المعلومات أهمية خاصة اذ ان الصناعيين الذين يحتاجون لمعرفة تأثير كمية المطر ودرجتي الرطوبة والحرارة على انتاجهم قد اعتمدوا على المعلومات المتوفرة في المرصد . ويتلقى المرصد باستمرار استعلامات كثيرة عن القمر يطلب فيها المستعلمون معلومات دقيقة عن القمر مما ساعد على وضع وضبط التقويم القمري .

● قال البروفسور كيريل ستانيوكوفيتش الفيزيائي السوفياتي المشهور في اجتماع عقد في فرع الملاحة الفلكية التابع لنادي الطيران المركزي بالاتحاد السوفياتي قال ان الصواريخ القلاقة الهائلة لم تبق الوسيلة الوحيدة لقهر جاذبية الأرض . لقد وجدنا وسيلة اخرى هي : وسيلة انشاء اجهزة طائرة ، غير خاضعة للجاذبية .

وقال ستانيوكوفيتش ان قوة تماسك المادة لا تخضع لقانون ثابت ، كما كان معتقداً حتى الآن . فقوى تماسك المادة يمكن ان تتغير وفقاً لطبيعة الجزئيات الاولية، وخاصة الحرارة. ومن المرجح ان قوى تماسك المادة تزيد مع ارتفاع الحرارة . ولهذا اعطى تفسيراً جديداً عن طبيعة الكواكب البالغة الكثافة هو«الزعانف البيضاء» . في الماضي كانوا يعتقدون ان كثافتها البالغة انما تفسر بضغط هائل تحدثه المادة . وليس من المستبعد في الوقت نفسه ان احد اسباب هذه الظاهرة في الواقع يكمن في زيادة قوى تماسك المادة ، وتفسره الحرارات المرتفعة جداً .

وبأمكان المرء ان يعتقد ان انخفاض حرارة المادة حتى الصفر المطلق سيثير انخفاضاً هاماً في قوى تماسك المادة ، ويمكن ان يؤدي الى زوالها . وتدل الحسابات المسبقة على انه اذا توصل المرء الى الحصول حتى على عدم التوازن الجزئي فسيصبح بامكانه ان يذلل جاذبية الارض بواسطة سرعة الصاروخ التي تساوي ما يقرب من كيلومتر في الثانية ، اي بما يقرب من ١٢ مرة أقل مما يجب في الظروف الطبيعية . وهذا يعني خفض انفاق المحروقات وزيادة المردود المفيد لمحروقات الصاروخ عدة مئات ملايين الاضعاف .

واعلن البروفسور ستانيوكوفيتش انه وجد صيغة رياضية جديدة لقوانين الجاذبية . ويقول العالم ان قوة تماسك المادة انما يفسرها التحرك النووي الذي تنبعث في اثنائه اشعاعات خاصة .



جولة الأديب في شهر

احمد شوقي في برشلونة

●

نامت مصر على ألم ممض لوداع شاعرها « احمد شوقي » عام ١٩١٥ وهي تذرف دمعاً سخياً لفراقه .

واستيقظت « برشلونة » على حلم جميل ناعم، حيث حلّ في جنباتها شاعر شرقي . له من الابداع ما جعله اميراً للشعراء في عصره ، ومن الفن ما خصته به الحياة في زمنه ، من نعم وسعادة. وطوى بين صفحات قلبه لواعج الشوق لبلاده ، وحنين الذكرى لمرابع خلانه واترابه . فكان كالطائر الغريب الذي اطاحت به الظروف بين طيور لا تشابهه شكلاً ولوناً ، واناة وتغريداً . فثارت في كوامن ذاته الذكريات ، واشتدت في اعماق نفسه الآهات . اذ كان لا يملك من الحرية الا اسمها، ولا من التحرر الا رسمه . عند ذاك ضاقت به آفاق الغرب بما رحبت ، وتقلصت بـه الاجواء بما اتسعت ، ولم يجد منفساً له عن الآمه وغربته الا بأن يغمس ريشته في جراح قلبه ، ويأخذ منه قطرات من الدم المهراق ، ليحوله الى آيات من الشعر ، وفرائد من النثر .

اما الشعر : فهو قصائده . « الاندلس » او قصر الحمراء . « اندلسية » او وادي الطلح . (مرثاته لامه)

واما النثر : فهو – رواية (أميرة الاندلس) – عن ملوك الطوائف وبني عباد في اشبيلية .

استفاد الشعب المصري من شوقي في سنوات منفاه ، بان تحولت افكاره، واتجهت آراءه نحو خدمة الشعب ، وتصوير حبه الوطني ، ومطاليبه القومية. وفي غمرات وحشته وفراقه ، نعيت له امه الحبيبة فقال :

الى الله اشكو من عوادي النوى سهما
اصاب سويداء الفؤاد وما أصمى
ولم ار حكماً كالمقادير نافذاً
ولا كلقاء الموت من بينها حتما
زجرت تصاريف الزمان فما يقع
لي اليوم منها كان بالأمس لي وهما
سقاها بشيري وهي تبكي صبابة
فلم يقو مغناها على صوبه رسما

واستطاعت السياسة بعد انهاء الحرب الاولى – اطلاق حريته – واباحت له التجول في اسبانيا بعد اقامة جبرية في برشلونة من عام ١٩١٥ – ١٩١٨ ، فجال في احضان الاندلس الفينانة ، وومضت عيناه تطالع تلك الآثار السمحة الفتية الندية ، من بقايا عرب البلاد الاكرمين . فسالت لها مآقيه دماء ودموعاً . وتفجرت لها عواطفه اناشيد ولحونا . واشتدت رؤياها مشاعره حنيناً وفتوناً فقال عند « قصر الحمراء » في غرناطة فريدته التي يحن فيها لوطنه ويناجي بها آثار اخوانه ، ويتشبه فيها بسينية البحتري :

اختلاف النهار والليل يُنسي
اذكرا لي الصّبا وايام انسي

وطني لو شغلت بالخلد عنه	نازعتني إليه بالخلد نفسي
شهد الله لم يغب عن جفوني	شخصه ساعة ولم يخل حسّي
حسبهم هذه الطلول عظات	من جديد على الدهور ودرس
واذا فاتك التفات الى الما	ضي فقد غاب عنك وجه التأسي

ومرّ على « قصور اشبيلية » الحسناء واستوقفته آثار « آل عباد » – وطافت في خياله صولة « المعتمد » ومجالس أنسه ، وليالي صبوته ، واحلام اشعاره . عندما كان يستوحيها من « وادي الطلح » مع رميكيته السمراء وزوجته الفتية الهيفاء . فقال شوقي على نَفَس ابن زيدون وعلى فكرة (ابن سعيد المغربي) قصيدته التي تذوب رقة وعاطفة :

يا نائح (الطلح) اشباه عوادينا	نشجى لواديك أم تأسى لوادينا
آهاً لنا نازحي ايك بأندلس	وأن حللنا رفيقاً من روابينا
ناب الحنين اليكم في خواطرنا	عن الدلال عليكم في امانينا
جئنا الى الصبر ندعوه كعادتنا	في النائبات فلم يأخذ بأيدينا

إن غريد الشعراء ، وشاعر المفردين احمد شوقي لم يخلف لنا إلا اضمامة صغيرة من روضة أشعاره عن الأندلس . والسبب الذي اراه هو سكناه لمدينة برشلونه الصناعية ، وبعده المترامي عن دنيا الاندلس وجمال مجتمعها وسحر قراها وطبيعتها مما جعله لا يعيش في روحانية الخيال الاندلسي ودنيا الذكريات العربية التي تهز الروح هزاً . فهو لو سكن « قرطبة » او « غرناطة » او « طليطلة » او « اشبيلية » لوجدناه مخلفاً ديواناً خاصاً بتلك الربوع الحسان وأين هذه الديار العربية الأثر من برشلونه ذات المظهر الغربي ، والتي لم يخلف فيها العرب في فتوحاتهم الا طيفاً نحيلاً باهتاً .

هذا بالاضافة الى ان الشاعر لم يملك حريته التامة كي يستطيع التجول والتوقف والامعان عند آثار البلاد الاندلسية . وبما كان يثقل كاهله من حنين لبلاده ، التي تركها مرغماً . ومطاليب عائلته واطفاله الذين يعيشون تحت ذراه وفي احضانه .

إنني منذ حللت برشلونه سألت عن دارة شوقي ، وبقايا آثاره فيها . كشاعر كبير وسياسي مبعد معروف ، وأنا في ظمأ وتشوق للوقوف على داره التي سكنها ثلاث سنوات – سألت هذا وذاك فلم احظ بطائل . وسارت قدماي حثيثاً نحو دائرة بلدية المدينة وعطفت على قسم الاحصاء فيها لعام ١٩١٥ . وما بعدها ولكن لم اجد ما يشفي تلهفي ، ويقنع فكري . ويأخذ بيدي الى داره – وكان جوابهم لي بانعدام الاحصائيات الرسمية والسجلات الدقيقة خلال فترة الحرب الكبرى . اذ ان ما سجل وضبط ابتداء من عام ١٩٢٣ .

والآن هل لمحي شوقي وشعره، وهل لذويه وأهله وللمعهد المصري فيمدريد

الذي يديره صديق عالم هو الدكتور حسين مؤنس أن يبحثوا في مخلفات امير الشعراء وآثاره ورسائله لذويه واصحابه لفترة ١٩١٥ ـــ ١٩١٨؛ مـــا يستطاع فيه أن يهتدي لعنوان سكناه كي نجعله مزاراً يذكرنا فيه وبغربته وبأيام منفاه وتقيد حريته . ويستطيع الشرق العربي الزائر لاسبانيـــا ان يقدم لمارفه واصحابه المواطنين فكرة عن حيـــاة شاعر يعتز به الشرق وتفخر به مصر .

إن خطانا تمر على تربة الزمن كما مرّ عليها شوقي ـــ والانسان الكامل النافع هو الذي يترك بعد سيره ، آثار خطاه التي لا تذهب بها عواصف السنين ، ولا يزيلها تراكم الاحداث ، ولا تذهب من روائها تقلبـــات الايام .

جامعة برشلونه **محسن جمال الدين**

تكريم ذكرى ابو ماضي في دمشق

●

قالت جريدة الجبل الغراء التي تصدر في دمشق في وصف الحفـــلة التكريمية الكبرى التي اقيمت لذكرى شاعر المهجر الاكبر ايليا ابو ماضي :

زار دمشق ثانية اول البارحة بعد ان زارها قبل احد عشر عامـــاً الشاعر الكبير ايليا ابو ماضي . زارها هذه المرة بروحه لا كما زارها في المرة الماضية بجسده فكرمته دمشق ميتاً كما كرمته حياً . فعاشت ساعتين من عمر الزمن المتسارع تضمختـــا بعبق الشذى وأريج المحبة ، واللوعة المختنقة تجهش في الصدور .

فقد احتفل النادي العربي تحت رعاية فخامة الرئيس الاول شكري القوتلي بتخليد الشاعر الكبير . وعطل مجلس الوزراء جلسة خطيرة كانت ستعقد ساعة التأبين ليشارك في الاحتفال بهذه الذكرى . وغصت ردهات وقاعات النادي على رحبها بأهل القلم وبالشعراء والادباء ورجال السياسة والدين والاجتماع توافدوا زرافات ووحدانا وكلهم مشوق الى احيـــاء ذكرى رجل كان شعره يفيض بالعاطفة والايثار لوطنه والانسانية .

افتتحت الحفلة بكلمة رئيس النادي العربي الدكتور سعيد فتاح الامام وتوالى على المنبر الدكتور سليم حيدر والسيدة وداد السكاكيني . ثم اشرأبت الاعناق الى المنبر لتستمع الى الشاعر الكبير جورج صيدح يقف هادئـــاً صامتاً يستمهل اللحظة الخاشعة رويداً رويداً كأنما اوجعه مر المصاب برفيقه الذي عايشه زمناً طويلاً في غربته وهجرته وآلامه واحلامه فجاء يقرض شعراً صادقاً يحكي واقعاً ، فيطير بقلوب سامعيه في قصيدة يطالعها القراء في هذا العدد والتي كان مطلعها وحده باعثاً على حماس الجماهير وانتقالهم الى جو القومية والشعر في آن واحد .

قصيدة صيدح في ابو ماضي

عـــادت دمشق تعظم الآدابا ... عـــدْ يا سمير ، تصدر المحرابا
الحفل في ذكر ، وانت كتابه ... « حيّ الشام مهداً وكتابا »
حيّ المنابر ، تشتهي اعوادُها ... لو عانقتْ في نعشك الاخشابا
حيّ المآذن اتلعت اعناقها ... وتساءلت ما بينها ، هل آبا ؟
أنسيت يوم العز في ايوانها ... والمهرجان الفخم والترحابا
يوم استفاق المجد من سكراته ... وسعى اليك يقبّل الاعتابا
والشعب بايع بالامارة زائرا ... باسم اليراعة يحكم الالبـــابا
والشعر في سمع الرئيس وصحبه ... تُلقيه مخلوبـــاً به ، خلابا
اكبرتُ جلقَ ، ما انتشت بمحرّم ... بل غبّت السحر الحلال شرابا
غنيتَهـــا فترنمت حصباؤهـــا ... وتنفست اجواؤهـــا اطيابا
هذا الأديم ، اثرتَه وهجرته ... لم تدره متفجراً لهـــابا
واليوم ان مس الدخيلُ ترابه ... طار المعجاج الى الحدود حرابا
اليَوم يجري النيل في بردى دماً ... لدم ، وتنهار السدود هبـــابا
الازهران اليوم برج واحد ... لا حجبَ تغشاه ولا حجّابا
سبرَ الدجى فاذا النجوم تمنطقت ... بشعاعه ، والابعدون قرابى
لمّا تفقّد في المدى اسيافه ... ألفاك يا أمضى السيوف قرابا
دوّمت كالاقمار حين تفجرت ... جذب الترابُ حطامها فانصابا
هذا التراب ،وليس ما جبَلَ الهوى ... بندى العيون وكحلهن ، ترابا
لما نعيتَ اليه ودّ لو ارتمى ... عبرَ البحار على ثراك سحابا
والشعر ، اقعده الاسى وأقامه ، ... يحني أمامك رأسه هيابـــة
والقوم في حال الغريق متى دعا ... لنجاته مَن لا يحير جوابـــا
يتطلعون الافق ، اين مثابه ... ان لم يكن «وطن النجوم» مثابا؟
حتى اذا الإصباح بدّد ريبهم ... وانجاب ليلٌ ـــ ليته ما انجابا ـــ
فتحوا العيون على الحبيب مجندلاً ... وعلى المآتم تجمع الاحبابـــا

يا حائراً نشدَ الهداية في الردى ... امن الهداية ان تُصيب مصابا
يكفي اغترابُك للديار عقوبة ... لا تستحق اشد منـــه عقابا
مَن كان (كل الناس في اثوابه) ... لأجلُ من ان يخلع الاثوابا
جوّابَ آفاق الخلود ، بلغتَها ... أدِّ الرسالة ، واصلِ التجوابا
قسماً بروحك خاطبتْ ارواحنا ... ما زلتَ انت اميرنا (الخطابا)
ذكراك شهقة راية خفاقة .. ... حدّت فلمّت ذيلها اللعـــابا
ذكراك ذكرى دوحة جبارة ... سقطتْ وكان سقوطها رعّابا
الواكنات على الغصون تشردت ... وكأن في تغريدهـــا تنعابا
هيَ نخلة رحالة لو لم تكن ... عربية لأضاعت الانســـابا
اظلالهـــا في العالمَين تدفعتْ ... وتربعت فوق القبـــابا قبابا
فرعٌ على الدنيا وفرع في العلى ... يتهاديان البسر والارطابـــا
والجذع ـــ والهفي عليه ـــ اصوله ... في أرض غربته تموت سغابا
قل للبكاة على غريب لم يعد ... العائدون ، اما غدوا اغرابا ؟
حضروا فما رفّت عليهم أعين ... كانت تراعي خطوهم غيّابا
كم في المهاجر من شهيد حنينه ... لا يتقي يوم الحساب حسابـــا
قيثارة المحموم معزف أمة ... تستلّ من قيثاره قرضابـــا
ولطالما قدّ الحمى اوتارَه ... ففي يشد مكانَهـــا الاعصابا
ايقاعه نبضٌ تلوى في الحشا ... ألماً ودوّى في اللها صخابا
يحيى باسباب اللقـــاء معلّقـاً ... ويد القضاء تقطّع الاسبابا

من مُبلغ الاعراب تفقد شاعراً ... أن المهاجر تفقد الاعرابا ؟
دقت نواقيسَ الغروب وكفّنت ... بالليل جبلَ الشرق والاعقابـــا
الضاد كالثكلى تشق جيوبهـــا ... والشعر كالمفتون ، شاب فتابا
واهـــاً على ادب يزقُ فراخه ... حيث الكواسر حوّمت اسرابا

ادب تخدّر بعد طول عذابه ... ولو انه صاح .. لمات عذابا
ابطاله درجوا ، وفي ساح الوغى ... اطيافهم تستدرج الاصحابا
ما أعجل التاريخ في استبقائهم ... كتُباً ، وفي استئصالهم كُتّابا
الشاعر الماضي نبي الشعر ، لا ... « متنبياً » فيه ولا نصّابا
في روحه الروحُ الامين يمدّه ... بالعبقرية ثرّة ، مخصابا
نزلتْ نواةُ العلم في وجدانه ... منقادة ، لا تقتضيه طلابا
وإذا سألتَ عن البيان فسمّه ... فيضا وفيضَ العائبيه سرابا
أمـا الجمال فلمحة من حسه ... وجدتْ لها في شعره جلبابا
وكأن محجره كمينٌ للروى ... يصطادهـا ان لمّ الاهدابا
حسب «الجداول» انها قد سبّلت ... وردَ الحياة ، وحثت الاكوابا
حسب «الخمائل» انها ذرّت على ... وجه القفار الزهرَ والاعشابا
أدرى الانام بنفسه ونفوسهم ... من قال « لا ادري » بها وتغابى
وعظَ الدرائر هامساً متسائلاً ... لو راح يجهر بالعظات لخابا

يا شاعري ، ما زال انضاء السرى ... يترسمون خيالك الوثابا
في (الدمعة الخرساء) في (العنقاء) في (الطين) الذي لبس النضار ثيابا
في رفرفات سحابة مسحورة ... في رفرفـات فراشة تتصابى
في بسمة ٍ رفت على شفة المنى ... واستقطرت شهدَ الحياة رضابا
فتحتْ قوافيك الصدور وغلغلت ... فكأن قلبك في القلوب انسابا
والفن طوع يديك ، ان كلفتَه ... قطفَ الثريا ثرّهـا اعنابا
ذوبتَ روحك في النشيد سبائكا ... وطرحتَ جسمك في اللهيب فذابا
الله في هرم ٍ ، على انقاضه ... يقف الزمانُ ويستمد شبابا

مَن لي بشعرك يا سمير ، أُديره ... راحاً وأنثره عليك حبابا
عمقَ الشراعُ وقصرت عنه يدي ... فرشقته بمدامعي ملتابا
بيني وبينك عهـدة لا تنقضي ... الا اذا حال الخلود تبابا
لي في جناحك موكنٌ لجوانحي ... لولاك ما ربّيت فيه ربابا
انت الذي حضنَ السويجع اجردا ... وكساه من ريش النسور زُغابا
يا ضيعة الشدو الذي علمتني ... جرحُ الهزار اصاره نعابا
ان « الطلاسم » بعدما عددتَها ... زادت بعيني طلسمـاً ريّابا
قلتَ ابتسم انّ الحياة جميلة ... وأرى حياتي بعد موتك صابا
السجن ضاق ، ولو سمعتَ ضراعتي ... لفتحتَ من ابواب ربك بابا
شعري على ذكراك كرّم نفسَه ... ما كرّم الذكرى ولا من غابا
ارثيك بالشعر اليتيم وانت مَن ... حابى اليتيم وسفّه العيابا
الحبُ اشرق في ضباب قريحتي ... والحزنُ أطلق في الضباب شهابا

جورج صيدح

عندنا فلسفات : حديث للدكتور احمد فؤاد الاهواني

●

هل لنا فلسفة ؟ تساؤل حائر يزداد الحاحاً في نفوسنا كلما ازددنا تعمقاً في دراسة الفلسفات الغربية الحديثة : لماذا ليس لنا نحن ايضاً فلسفة ؟. وهل صحيح ان السبب في ذلك هو اننا قـد انصرفنا اليوم عن الدراسات الجيدة الى المطالعات الهينة ؟.. ام ان تخلفنا الواضح في مختلف مجالات الحياة يلزم عنه بالضرورة تخلفنا في الميدان الفلسفي ايضاً ؟..

وكان من الطبيعي ان انتهز فرصة وجود الدكتور احمد فؤاد الاهواني استاذ الفلسفة في جامعة القاهرة ، ببيروت لاعرف رأيه في هذا التخلف .

حديث سياسي

وكان الدكتور الاهواني ، عندما زرته في الفندق الذي ينزل فيـه ، منهمكاً في حديث سياسي مع بعض ضيوفه :

– هل تعتقدون ان الحرب ستقوم بـين الشرق والغرب ام سيتحقق بينهما السلام ؟

الحرب لن تقع قريباً

واجاب الدكتور الاهواني على هذا السؤال بحديث طويل .. يفيد بان الحرب لن تقوم قريباً ولن تستعمل القنبلة الذرية ، وانه سيتم التقارب بين الكتلتين الكبيرتين على اساس ان النظام الشيوعي نفسه بحكم التطور سيتخذ شكلا آخر اقرب الى النظام الديمقراطي وان الغرب الذي يجري على اساس الديموقراطية والفردية سيتجه نحو النظام الاشتراكي بحكم التطور ايضاً . ومن المسلم به ان النظام الاشتراكي بمعنى الكلمة موجود في انكلترا بشكل اوسع منـه في روسيا . وانما الخلاف في مدى حرية الفرد والاحتفاظ بشخصيته داخل الدولة . والمشاهد اليوم ان النظام الشيوعي اخذ يبيح الحرية للفرد اكثر مما كان معروفاً من قبل . وهذا ما نعنيه باتجاه او تطور النظام الشيوعي ليتقرب من النظام الديمقراطي .

لنا فلسفتنا !

وعندما انهى الدكتور الاهواني حديثه السياسي هـذا توجهت اليه بأسئلتي الفكرية الفلسفية . كان بداية بحثنا الفلسفي ذلك التساؤل الحائر الذي يزداد عمقاً والحاحاً كلما ازددنا معرفة لحضارة الغرب الفلسفية .

– لماذا لا يكون لنا نحن ايضاً فلسفة ؟

وفاجأني جواب الدكتور الاهواني على سؤالي – ولا انكر – اذ قال :

– الذي يزعم ان الشرق العربي خلو من الفلسفة والفلاسفة مخطىء في ذلك الخطأ كله ، لان حضارة هذا الشرق الجديدة ، وتقدمه الجديـد السريع لم يكن الا ثمرة آراء مفكريه . وقد صورت أنا الفلسفة الموجودة في مصر في الوقت الحاضر ، ودونتها في كتابي عن الفلسفة الاسلامية – باللغة الانكليزية – وجملة هذا التصوير ان الفلسفة عندنا قد بدأت منذ أواخر القرن التاسع عشر في مذهب سميته بالتقليدية « Traditionalisme » وزعيما هذه الفلسفة الافغاني ومحمد عبده .

ثم ظهرت في النصف الاول من القرن العشرين فلسفة اخرى هي رد للفلسفة التقليدية وهي التحررية « Libéralisme » تنادي بالاخذ بالجديد في كل شيء والى اقصى حد ، وجملت على رأس هذه النزعة وأكبر ممثليها طه حسين .

وفي السنوات الاخيرة ظهرت فلسفة اخرى تجمع بين التقليدية والتحررية هي التقدمية « Progressivisme » وهذه النزعة هي السائدة اليوم في كل مكان من الشرق العربي .

فلسفتنا في الدور الاول كحضارتنا

– هل معنى ذلك انكم تعتبرون امثال محمد عبده وطه حسين فلاسفة ؟

– هـذا يتوقف على تعريف معنى الفلسفة ، والفلسفة في نظري هي

النظرة الشاملة للكون من جميع اطرافه وبخاصة الانسان . والاعتماد في هذه النظرة على ثمرة العلوم المختلفة ابتداء من علم الفلك الى علم الاجتماع وعلم النفس . ثم توجيه هذه العلوم كلها لخدمة القيم الانسانية ، ونحسب ان عندنا من المفكرين من ينظر هذه النظرة الشاملة ويخضع تفكيره لخدمة الانسان ، اما ان يكون هذا التفكير صواباً او خطأً فهذا شيء آخر .

لا شك ان الافغاني كانت عنده هذه النظرة الشاملة . وخطوه الوحيد هو انه طمن في علوم زمانه وفي الفيلسوف « داروين » بوجه خاص خشية على الدين .

من هذا الوجه اذن يمكن ان يقـال ان عندنا فلاسفة وفلسفة تلائم تفكيرنا ، وتتناسب مع هذا القدر من تقدمنا وحضارتنا . وكلما تقدمنا اكثر فأكثر في العلوم المختلفة وازدهرت حضارتنا أكثر فأكثر ، كما هو مشاهد اليوم ، ارتفعت تبعاً لذلك فلسفتنا وأصبح فلاسفتنا اكثر عمقاً واشمل نظراً .

ضرورة الثقة بأنفسنا

– في اي دور هي حضارتنا اليوم ؟

– حضارتنا ما تزال في الدور الاول ، دور البناء .. لذلك ينبغي ان نكون واقعيين ومنصفين لا نجري وراء العاطفة.وهذا الدور يمتاز باليقظة، بشعورنا بأنفسنا كنا قد فقدنا هذه الثقة في عهد الانحطاط ، واليوم نستعيد هذه الثقة وبدأنا نسير في الطريق الصحيح لاستعادة مكانتنا السابقة .

لنا طابعنا الخاص

– ولكن ، لماذا لم نر للفلسفات المختلفة السائدة في الغرب اتباعاً من العرب ؟

– هناك فريق بين نقل هذه الفلسفات او ترجمتها وبين تمثلها واستيعابها وجريانها في عقول اهل هذه المنطقة بحيث يؤمنون بها الايمان الذي يجعلهم يتصرفون في حياتهم طبقاً لهذه الفلسفات .

وهذا شيء لا يمكن ان يتم لان كل فلسفة هي ثمرة البيئة التي تظهر فيها. فالفلسفة البراجماطيقية « Pragmatisme » مثلا فلسفة اميركية تلائم البيئة الاميركية والعقلية الاميركية . ولو نقلت هذه الفلسفة الى بيئةجديدة لا بد ان تتشكل بشكل آخر . وكذلك المثالية الالمانية « L'idéalisme » والوجودية «L'existentialisme» الفرنسية وهذه كلها فلسفات تصورطبائع هذه الشعوب وعقلياتها وظروفها الخاصة . فعندما تنتقل الينـا تتشكل اضطراراً بظروفنا وتاريخنا وميراثنا وعقليتنا ولذلك لا تكون هي هي .

الحضارة كل لا يتجزأ

وختم الدكتور الاهواني حديثه بقوله :

– اية حضارة من الحضارات ، اية فكرة من الافكار اذا انتقلت من مكان الى آخر لا بد ان تتخذ شكلا آخر . وليست هنـاك حضارة من الحضارات قد ولدت فجأة واعتمدت على نفسها فقط فالحضارة كل لا يتجزأ، يأخذ بعضها عن بعضها الآخر . وكما ان اوروبا اعتمدت عـلى الحضارة العربية في نهضتها الحديثة كذلك لا بد لنا من الاستعانة ، بما يتلاءم مع بيئتنا من حضارة الغرب ، ومتى كان لنا حضارة متقدمة متفوقة كان لنـا بالتالي فلسفة متقدمة .

فائزة الشريف

[السياسة]

قالوا في « الاديب »

●

قالت جريدة « الديار » الغراء التي تصدر في بيروت :

دخلت مجلة الاديب ، عميدة المجلات العربية ، عامهـا السابع عشر . وجعلت باكورة العام الجديد عدداً ممتازاً بحجمه ، رائعـاً بمحتوياته، فيه الراح والريحان، ومن كل فاكهة زوجان،جاوزت موضوعاته المائة واسهم في تحريره اربعة وخمسون اديباً ، بينهم ثمانية عشر شاعراً ، من مختلف الاقطار العربية ، عدا ما كتبه صاحب المجلة من الاخبـار العلمية والبرقيات الادبية والانباء العالمية وهذا التنويع في الاقلام والابحاث طلاوة تجتذب القراء على تباين ميولهم واذواقهم ، كما ان التدقيق في اختيار المواد جعل لما تنشره الاديب مكانة ومهابة لم تبلغها مجلة عربية قط . وقد تكون الوحيدة بين المجلات العربية في انتشارها عالمياً تحمل رسالة العـلم والادب والشعر الىاوروبا واميركا والهند وروسيا فضلا عنالمغرب وسائر الاقطار العربية . ومن المعجب ، ان لم نقل من المعجز ان يقوم هذا الهرم بطوابقه الستة عشر على جهد اديب فرد، لا يد قريبة او غريبة تمتد اليه ، ولا رعاية حكومية او حزبية تنبسط عليه ، ولا فائدة مادية تغريه على الاستمرار في مهمته الشاقة . ولكنها الرسالة الادبية المثالية متى اعترضت طريق الاديب الحق ، جملته ينكر نفسه ويتبعها الى اخر العمر . هناء للصديق البير اديب بجهاده المثمر وشكراً على ما يؤديه لاوطانه من خدمـات وتضحيات . وعاشت مجلته عنواناً لفضله ونبراساً للادب واهله .

●

وقالت مجلة الحارث الغراء التي تصدر في البرازيل :

اصدرت مجلة الاديب البيروتية الغراء عدداً ممتازاً لسنتها الجديدة جمت فيه ملء مئة صفحة مقالات وقصائد لكتاب مختلفين في موضوعات متفرقة تدور على الادب والتاريخ والعلوم الفلسفية والقصائد المتنوعة لشعراء عديدين . وقد صمدت هذه المجلة للدهر مدة طويلة متنقلة في احوالها الخاصة من حسن الى احسن بهمة صاحبها ومديرها الاستاذ البير اديب الذي عرف كيف يجمع حوله جيشاً لجباً من الكتاب الخصيبين . زاده الله توفيقاً .

●

وقالت جريدة الاخبار الغراء التي تصدر في بيروت :

« الاديب » مجلة لبنانية عربية ، عزيزة على كل واحد منا، حملت رسالتها الادبية الخيرة من ستة عشر عاماً ، بصبر واناة ، وساهمت في اغناء ادبنا العربي في لبنان ، وانشأت على صفحاتها عدداً كبيراً من ادباء لبنان الشباب ، ومن الادباء العرب . حتى اصبحت « الاديب » جزءاً هاماً من تراثنا الثقافي ، لا يمكن إغفاله بأي حال من الاحوال .

و « الاديب » اليوم تتابع رسالتها ، تطل علينا كل شهر حاملة ألواناً متعددة من الثقافة العربية والعالمية على السواء .

في عدد ايلول ١٩٥٧ من « الاديب » اشياء كثيرة متنوعة ، منهـا [......] . ولعل اهم ما في عدد « الاديب » هذا ، هو العمل الابداعي نفسه ، ما بين قصص وقصائد لكتاب وشعراء من لبنان وسوريا ومصر والعراق ، عدا الابواب التي تطلعك بعض الشيء على الجديد في الحركة الثقافية العربية .

أنباء العالم في شهر

٢٨ يناير ١٩٥٨ – وصف الرئيس تيتو مصادرة السلطات الفرنسية شحنة الاسلحة من السفينة اليوغسلافية بانه عمل قرصنة ، وقال ان الاسلحة كانت مرسلة الى اليمن ونفى ان تكون يوغسلافيا تهرب الاسلحة الى مجاهدي الجزائر.

– وافق مجلس حلف بغداد على مخطط طويل الامد لبناء شبكة من الطرق الستراتيجية في اراضي دول الحلف ومطارات وموانىء ومحطات ارسال لاسلكي مما يكلف عدة مليارات من الدولارات .

– خطب رئيس الجمعية التأسيسية في المغرب مهدي بن بركة في الجمعية التأسيسية التونسية فدعا الى انشاء اتحاد شمال افريقيا يضم تونس والمغرب والجزائر .

٢٩ – وقعت مصر والاتحاد السوفياتي في موسكو اتفاقاً تفصيلياً يتعلق بتنفيذ المشاريع الصناعية والاقتصادية المصرية على اساس الاتفاق الاساسي لتقديم روسيا الى مصر اعتمادات في حدود ٦٢ مليون جنيه .

٣٠ – طلبت اليمن من بريطانيا سحب اوليفر كمب القائم بالاعمال البريطانية في تعز .

– صدر بلاغ مشترك لاجتماعات مجلس وزراء حلف بغداد في انقره وهو يدعو الى تسوية مصادر النزاع في الشرق ويتهم الاتحاد السوفياتي بمضاعفة جهوده للاستيلاء على الشرق الاوسط ويشير اشارة غير مباشرة الى كشمير وفلسطين وقبرص .

٣١ – وصل الرئيس شكري القوتلي واركان الحكومة السورية الى القاهرة لعقد الاجتماعات النهائية قبل اعلان الدوله العربية المتحدة من مصر وسورية .

اول فبراير ١٩٥٨ – تم توقيع وثائق الوحدة المصرية السورية واعلن الرئيسان عبد الناصر وشكري القوتلي هذه الوحدة . واذاع رئيس وزراء سوريا صبري العسلي البيان التاريخي باعلان « الجمهورية العربية المتحدة » بنظام رئاسي ويجري استفتاء عليه لاقراره واختيار الرئيس . ويكون لهذه الجمهورية علم واحد يظل شعباً واحداً في وحدة يتساوي فيها ابناؤها في الحقوق والواجبات .

– اطلقت الولايات المتحدة جرمها الاصطناعي الاول وهو يدور حول الارض ويرسل اشاراته اللاسلكية .

٢ – وصل الأمير الحسن ولي عهد المملكة المغربية الى الرياض في زيارة رسمية .

٣ – طلب الامام احمد ملك اليمن الانضمام الى الجمهورية العربية المتحدة على اساس الاتحاد الفدرالي .

– وجهت الاحزاب في افريقيا الغربية وأفريقيا الاستوائية تحذيرات الى السلطات الفرنسية بوجوب اعطاء البلاد حكماً ذاتياً داخلياً .

٥ – القى الرئيس جمال عبدالناصر بياناً تاريخياً في مجلس الامة المصري عن وحدة مصر وسورية وأسس الجمهورية العربية المتحدة وعن مقومات الوحدة المدرجة في دستورها الموقت المؤلف من ١٧ مادة .

– اعلن الرئيس شكري القوتلي في مجلس النواب السوري اسس الوحدة كما اعلن ترشيح الرئيس جمال عبد الناصر رئيساً للجمهورية العربية المتحدة وقد اقر المجلس اسس الوحدة وترشيح الرئيس عبد الناصر .

– وصل الى القاهرة ولي عهد اليمن الأمير بدر وبدأ محادثاته مع المسؤولين لضم اليمن الى الوحدة .

٧ – وجه ٧٦ نائباً من حزب العمال البريطاني رسالة الى رئيس جمهورية فرنسا يبلغونه فيها اهتمامهم العميق بمصير المجاهدة جميلة المعتقلة في الجزائر والحكومة بالاعدام لجهادها مع جبهة التحرير الوطني .

٨ – اعلنت الحكومة التونسية ان الطائرات الحربية الفرنسية اغارت على قرية داخل الحدود التونسية وان عدد القتلى قد يبلغ المائة. وزعمت السلطات الفرنسية ان طائراتها اغارت على معسكر للجزائريين داخل الحدود التونسية .

– اذيع بلاغ مشترك في مكة جاء فيه ان معاهدة صداقة واخوة وتعاون بين المملكة المغربية والمملكة العربية السعودية قد عقدت اثناء زيارة الامير مولاي حسن ولي عهد المغرب للسعودية .

١٠ – يقوم راديو بادنغ عاصمة جزيرة سومطرا أم جزر اندونيسيا بحملة ضد الحكومة متهماً اياها بمحاربة الاسلام والقومية وقد انذر قادة الجيش الرئيس سوكارنو بوجوب اقالة الحكومة وتأليف حكومة معادية للشيوعية والا اعلنوا الجهاد المقدس .

– احدث الاعتداء الفرنسي الخطير على قرية سيدي يوسف التونسية رد فعل عالمي وقد بدأت تونس تتخذ التدابير ضد الفرنسيين ، كما تقدمت بشكوى الى مجلس الأمن الدولي .

١١ – وصل الملك فيصل الى عمان واجتمع بالملك حسين وبدأت محادثات الاتحاد بين العراق والاردن .

١٢ – منعت الحكومة التونسية دخول السفن الحربية الى ميناء بنزرت وامرت باقفال اكثر القنصليات الفرنسية في البلاد وقامت مظاهرات تطالب بجلاء القوات الفرنسية التي طالب بجلائها الرئيس ابو رقيبة .

١٣ – انتخب الجنرال ميغويل يديكورلس فونقس زعيم حزب الاصلاح الوطني الديمقراطي رئيساً لجمهورية غواتيمالا .

١٤ – اذيع بلاغ رسمي مشترك باعلان الاتحاد بين العراق والاردن تحت اسم « دولة الاتحاد العربي » ويرأس الملك فيصل الدولة الاتحادية مع وحدة كاملة في الجيش والخارجية والثقافة والجمارك وغيرها . واصبح علم الثورة العربية الكبرى علم الدولة .

١٦ – عاد الدكتور احمد سوكارنو رئيس الجمهورية الاندونيسية الى جاكرتا لمعالجة الوضع الذي نجم عن اعلان حكومة ثورية في اواسط سومطره .

١٧ – اعلن رسمياً ان تونس وفرنسا قبلتا المساعي التي عرضتها اميركا وبريطانيا لتسوية النزاع الفرنسي التونسي .

– اقر مجلس الامة العراقي بالاجماع اتفاقية الاتحاد العربي في الاردن والعراق .

– تتفاقم الحالة في اندونيسيا ، وقد اعلن الثوار في سومطرا حكومة جديدة منفصلة عن الحكومة المركزية في جاوى .

طبعت في

دار مجلة شعر

شارع فينيقيا – تلفون ٤٣٠٤٤ – ص ب ٣٢٢٢ – بيروت لبنان